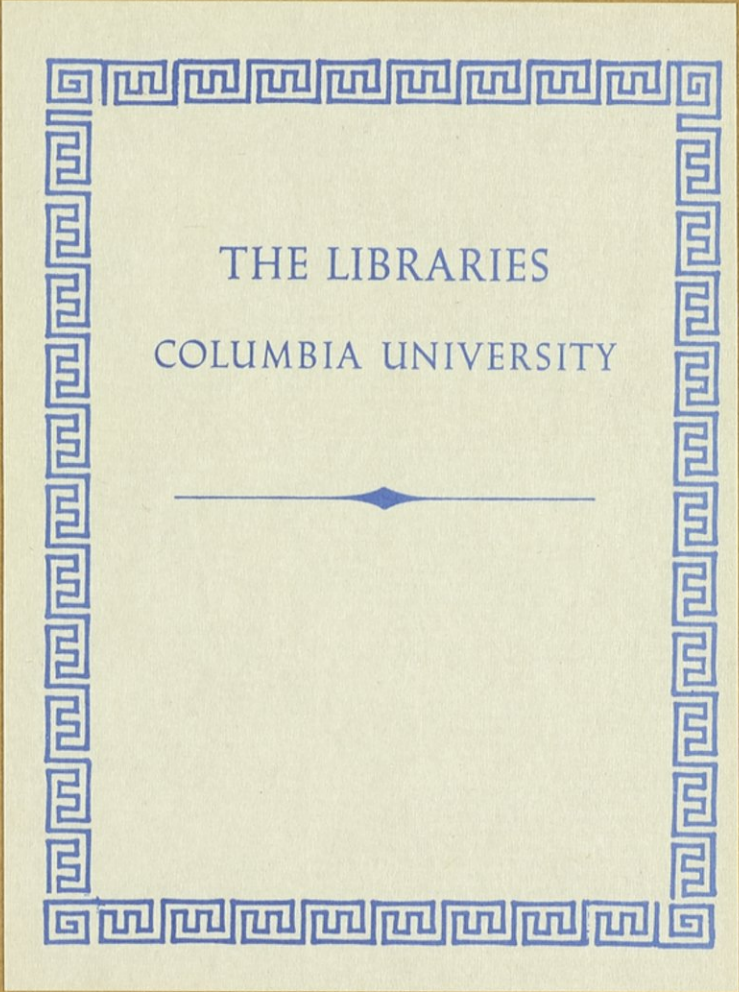
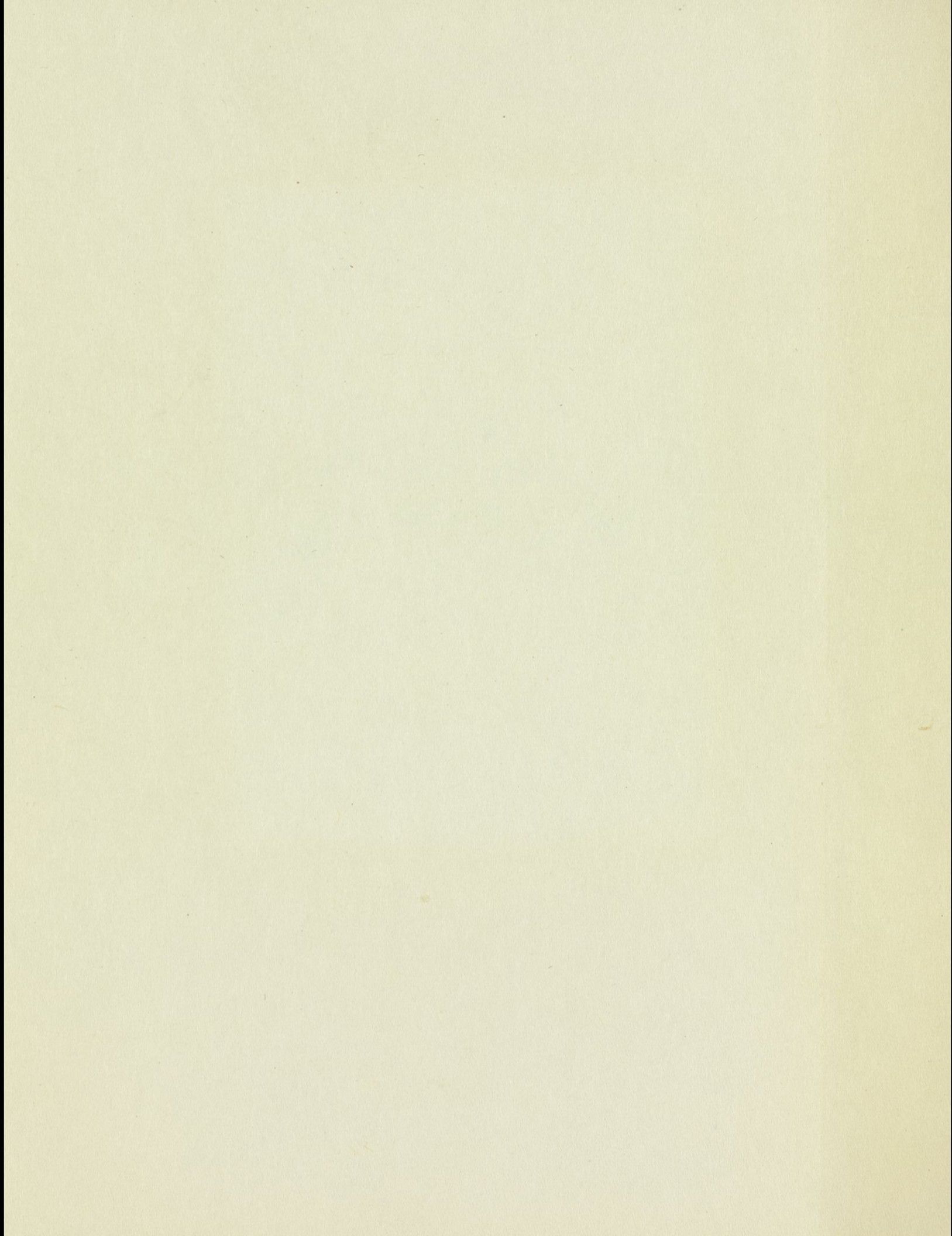


Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.



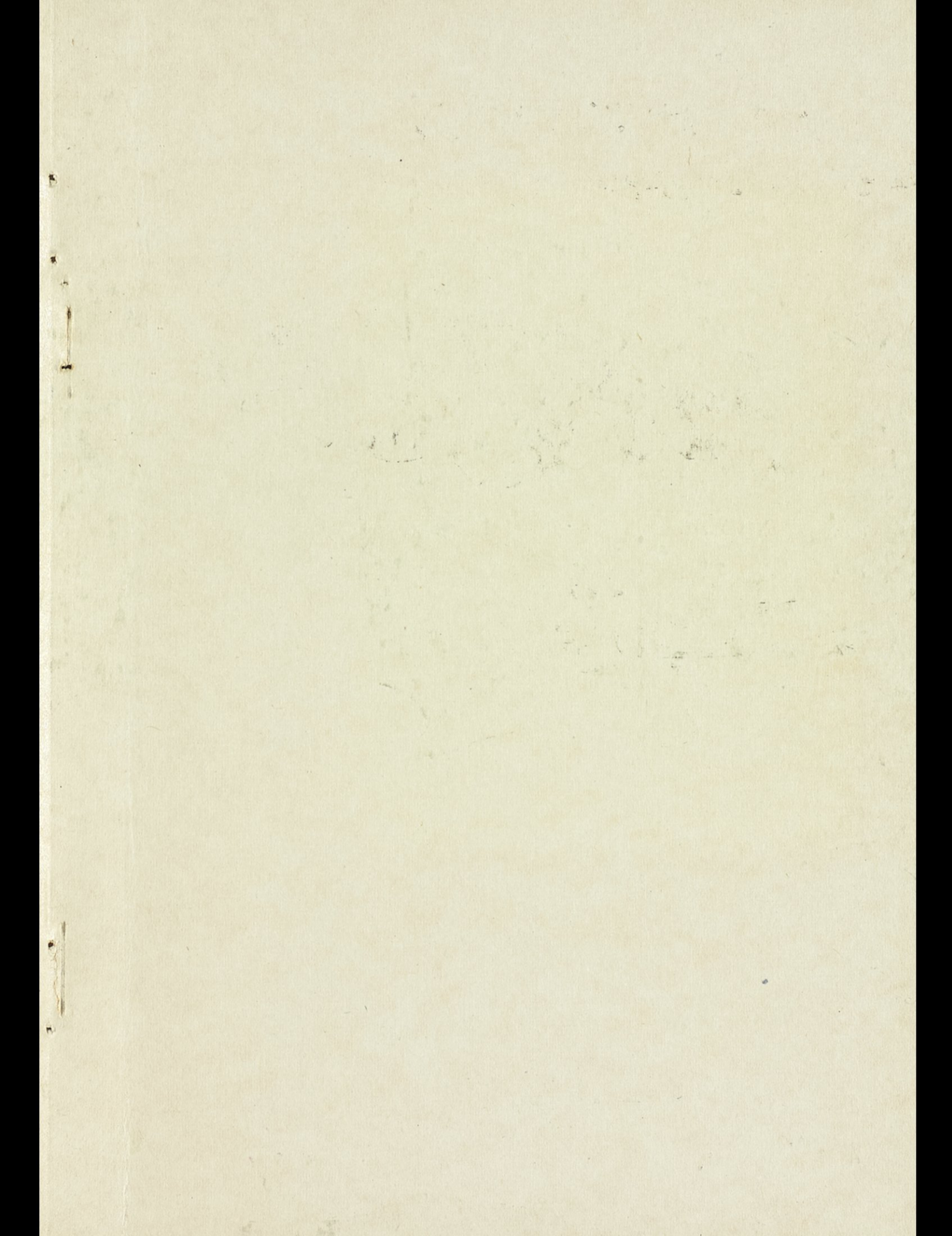


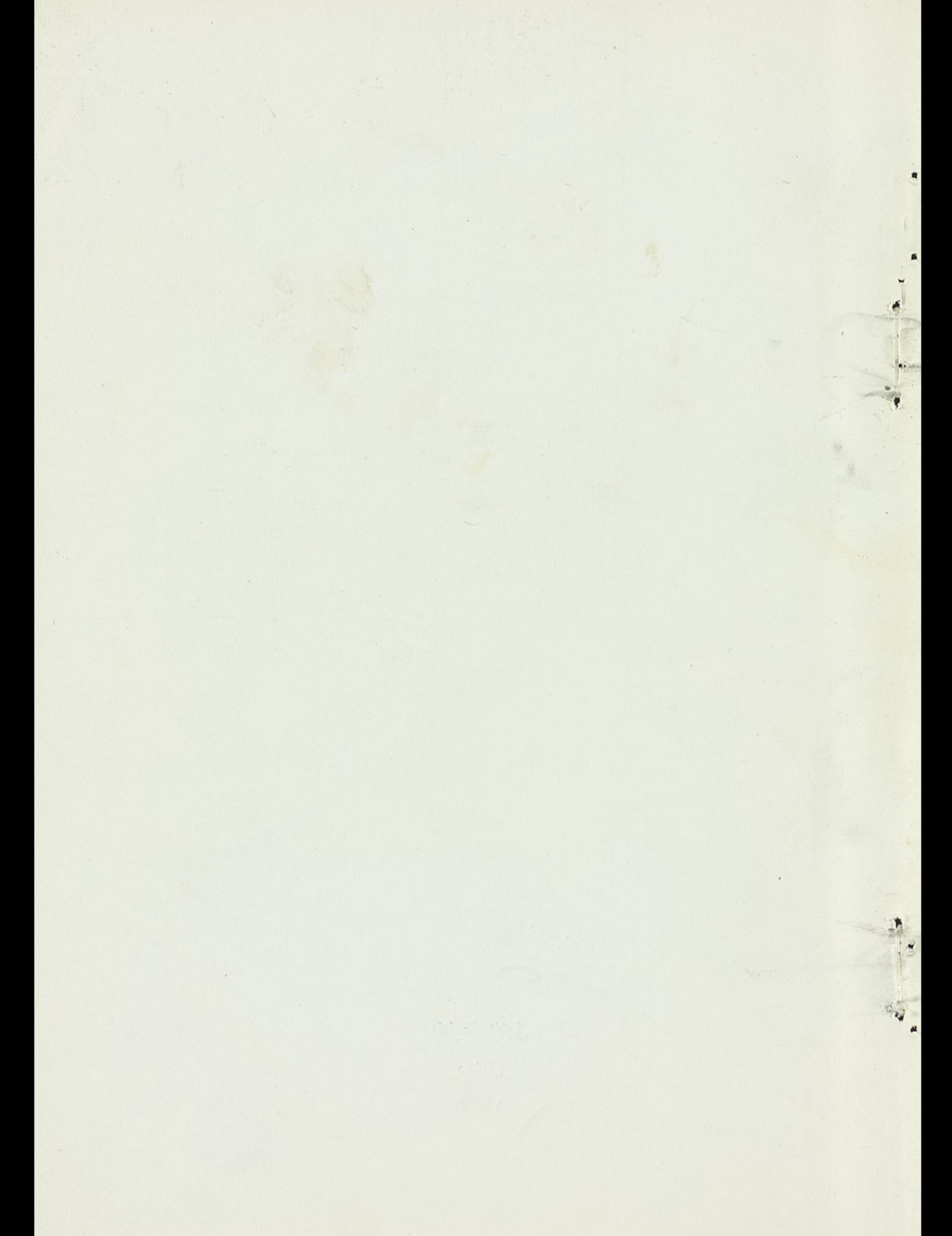
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
مديرية التأليف والترجمة

ابح في المعاد

زكريا نافع

السلسلة القصصية





الطبعة الاولى

دمشق

١٩٦٣

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

مديرية التأليف والترجمة

ابن عربي العماد

زكريا فاخر

السلسلة القصصية

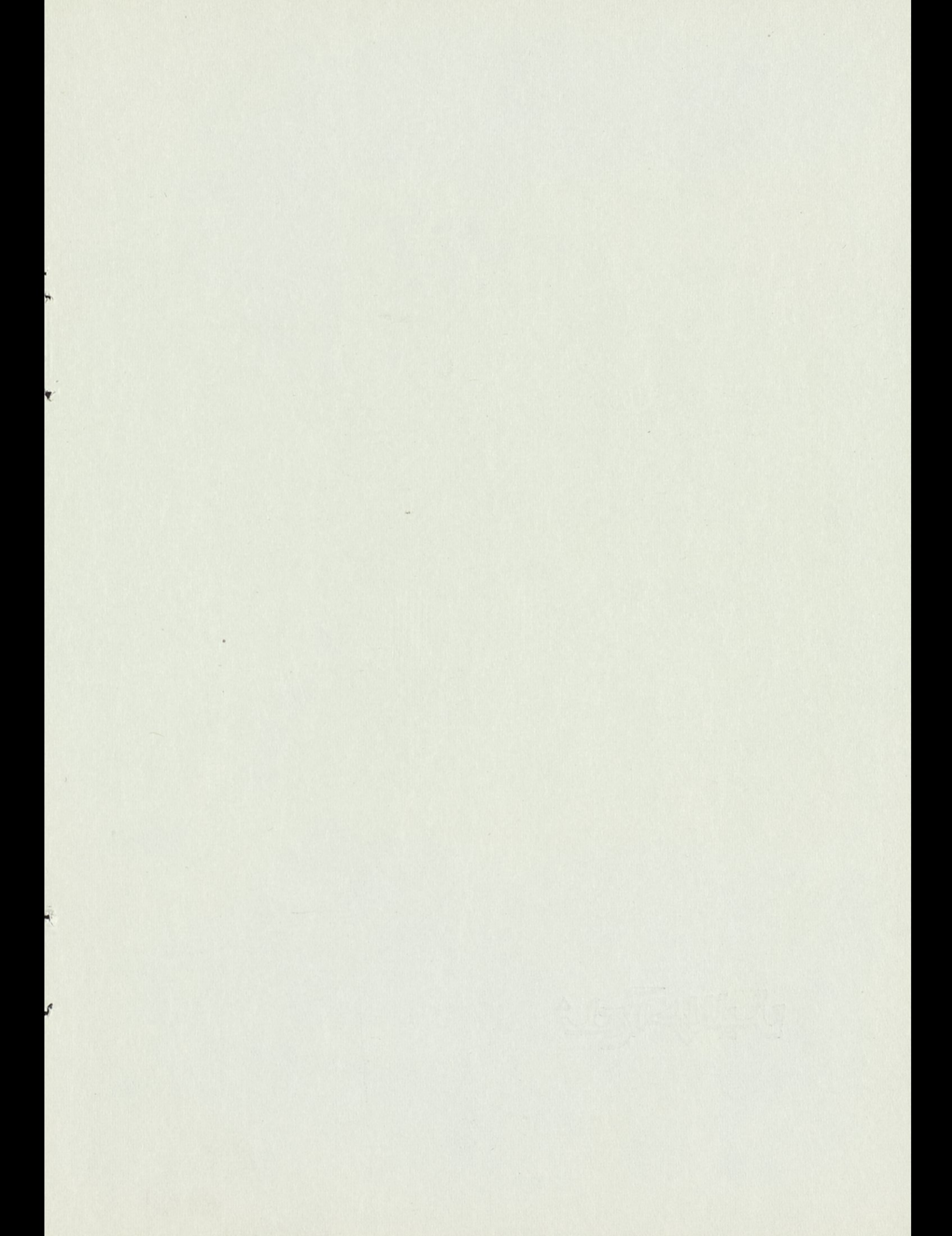
٦

الناشر
الفن الحديث العالمي

~~956.9 /
Ln 27
6~~

956.9
Sy 27
6

شاه آخرا اللیل



ألقى يوسف جبهته بزجاج النافذة المطلة على الطريق • وكان الليل خارج الغرفة وردة سوداء باردة ، وكان ثمة ثلج يتساقط بطيئا عبر فضاء من نور شاحب • وكانت ام يوسف تضع آئذ ابريق الشاي على المدفأة بينما جلس والده صامتا ، ترين الكتابة على وجهه المتغضن ، ويلتمع في عينيه سخط خفي ، ويداه مرتميتان بوجوم على ركبتيه كصديقين متعبين عجوزين •

واحنق يوسف ان يعود القط ويتمسح بساقيه فركله بقدمه متأففا •

وانكمش القط متألما ، وقبع قرب المدفأة ، واغمض عينيه بانكسار ، وأخذ يحلم بعثوره على حديقة أسوارها عالية جدا ، وأرضها مغطاة بطبقة من عصافير لا أجنحة لها ، سيختار عصفورا سمينا ، وسيحملق فيه بشراهة فيذعر العصفور ويتراجع باضطراب •

سيقول العصفور بصوت رفيع متقطع : انا عصفور

مسكين •

- انا جائع •

- سأغني لك •

- أنا جائع .

وسينقض القبط على العصفور في وثبة ضارية ،
ويغرس أسنانه الصغيرة الحادة في عنقه ممزقا حنجرتة
الغضة ، وعندئذ سينزف الدم قرمزيا ساخنا .

وضغط يوسف جبينه على زجاج النافذة الرطب
بينما كان يتكون في مخيلته وجه اخته الهاربة . . فتاة
وديعة ، دائبة الابتسام . وقال لنفسه : سأقتلها حين
أعثر عليها . . سأفصل رأسها عن جسدها .

وسمع أباه يقول له : ألم تتعب من الوقوف ؟
فلم يتحرك يوسف ، وظل صامتا . وأسرعت الام
الى التدخل قائلة : نسيت ان اخبركما بما رأيت ليلة
البارحة . . رأيته .

ففوجيء يوسف ، واستدار بحركة سريعة . وحين
التقت نظرتة بوجهها أدرك حالا أنها قد شاهدت مرة
اخرى الافعى التي تحيا مختبئة في بيتهم العتيق ذي
الجدران الترايبية . وتخيل يوسف الافعى : انها سوداء ،
ناعمة ، ملساء ، تزحف بسكينة عبر باحة البيت تحت
ضوء القمر الذي كان بازغا بالامس .

وقالت الام : ما أجملها ! كانت كالمملكة .

وشعر يوسف ان الافعى ملكة حقيقية عجيبة ،
مات كل عبيدها وبقيت تحيا وحيدة في أرض خربة .
واستيقظ في اعماقه غضب قديم ، فقال موجهها كلامه
لأبيه :

- ستؤذينا ، يجب ان نتخلص منها .

فتألق سرور خفي في عيني الأب وهو يجيب :
- انها تؤذي فقط من يؤذيها . . . وقد عاشت في
البيت قبل ولادتي ولم تؤذ احدا .

وكان يوسف موقنا بأن الافعى تعلم بانه يكرهها
وهي تتربقب مقدم لحظة ما ثم ستزحف حاملة اليه
الهلاك . وكثيرا ما طالب أباه بالسكن في منزل جديد
من اسمنت وحديد وحجر .

وتجسدت في مخيلة يوسف أبنية بيضاء كأنها
قصائد من الشعر العذب المفعم بشمس لا تأفل .
وكان الاب يرفض قائلا بعناد : هنا ولدت وهنا
سأموت .

وراقب يوسف وجه أبيه بغيظ . وسعل
الاب ثم تابع قائلا بسخرية : اعثر عليها اذا استطعت
واقتلها .

وقال يوسف لنفسه : سأعثر عليها ولن تغفلت مني .
وكان ثمة مقعد فارغ قريب من النافذة ، تأمله
يوسف مليا وبحنق . . . وكانت اخته اعتادت الجلوس
عليه في السهرات . . . تضحك وتتحدث وتداعب قطها
. . . ولكن اين هي الآن ؟

وتاق يوسف الى تدخين سيجارة . وكانت السجائر
في جيبه ، ولكنه لم يكن ليجرؤ على التدخين أمام أبيه ،
فاتجه نحو باب الغرفة . وبادره والده متسائلا :
- الى أين ؟

فقال يوسف : انا متعب وأريد أن أنام
قال الاب : يا لك من مسكين عمك كثير جدا . . .

هل تكسر حجارة في النهار؟ لماذا تتعب ما دمت لا تعمل شيئاً؟ هل أتعبك التثاؤب؟ قل لي .. ألم تجد عملاً؟ واعترضت الام قائلة: انه مريض .. انظر اليه .. لكم هو هزيل وأصفر .

واحس يوسف ان اللحظة التي يخشاها موشكة على المجيء .

وصرخ الاب بنزق: أنا لا ألوم أحدا سواك .. أنت التي أفسدت الاولاد .. الابن الشاب يأكل وينام .. والبنت تهرب .. والزوجة تثرثر مع الجارات .. والاب يشتغل كالحمار .

فقالت الام بصوت متوسل: لا تصح هكذا ، سيسمع الجيران صوتك .
- سأصيح كما يحلو لي .

وأحنى الاب رأسه ثم أضاف بلهجة أسيانة: آه يا ربي .. ما الذي فعلته حتى تفضحني في آخر عمري . قالت الام: ألم أقل لك ان تبلغ الشرطة عن اختفائها؟

- كان يجب ان لا تتركها لوحدها ، ولولا خروجك من البيت وذهابك الى الجيران لما استطاعت الهرب .. لماذا لم تأخذها معك؟

- كانت المسكينة متعبة بعد أن نظفت البيت كله .

- مسكينة؟ مسكينة تستحق الذبح .. ماذا سنقول لأقاربنا اذا زارونا ولم يجدوها في البيت؟ هل سنقول لهم: كانت امها عند الجيران فأخذت البنت أكثر ثيابها وهربت ولا نعرف مكانها .

والتفت الاب الى يوسف ، وردد بصرامة : أريد
منك أن تبحث عنها ، وتجدها بأي طريقة • اذبحها
كالكلبة •

وتذكر يوسف ايام طفولته ، وكانت الخراف
تذبح في صباح ايام الاعياد على عتبات حوانيت
الجزارين •• الخروف يطلق صيحات مذعورة تحت ثقل
الجزار ولكنه لا يستطيع التملص •• وسكين الجزار
كبيرة النصل وحادة •• تخترق عنق الخروف ويتدفق
الدم من جرح عميق أحمر •

وانفجرت الام تبكي ، وهتفت : انها بنتي أنا ••
وانتما الاثنان لم تهتما بها أو بي •

وفتح يوسف الباب ، وتسلسل الى الخارج • وحين
أغلق خلفه باب غرفته شعر بطمأنينة غريبة ، وسارع
يشعل سيجارة ، ويعب دخانها على مهل ، ويذرع الغرفة
بخطى قصيرة مهتاجة وهو ينصت الى وقع حذائه على
البلاط ، ثم توقف بعد قليل قرب طاولة خشبية ،
ورمقها بحسرة •• فهنا مكان المذيع الصغير الذي كان
يملكه ، وقد أجبره أبوه على بيعه •

ولقد كان المذيع صديقا وفييا ليوسف ، وها هو
بعد فقدته شاب بلا موسيقى • وأحس بالبرد يزداد
حوله ، فخلع ثيابه ، واطفاً المصباح الكهربائي ثم دس
جسده تحت اللحاف مسلما رأسه للوسادة •

وكان موقنا بأن الافعى لا بد مختبئة في مكان ما في
البيت أو تزحف عبر الغرف بهدوء •

وأطبق يوسف جفنيه ، وكان حينه الى الموسيقى

ينمو ويتفجر في داخله كغيمة تحولت الى مطر هاطل فوق
تراب حشن • واصغى الى موسيقى سحرية قادمة من
أعماقه حيث يقبع شيء غامض مرتجف ، يخلق الموسيقى
وهو ينتحب ولا يمسح دموعه •

وشعر يوسف بأنه قد يبكي بعد قليل بشدة ،
وانه هو المطر والتراب الجاف في آن واحد • وأحس
يوسف بأن ثمة عالما مجهولا • قريبا منه كل القرب
ولا يفصله عنه سوى جسر من الزجاج • وقال لنفسه :
مريض أنا مريض •

واندفع يوسف ، واجتاز مسرعا الجسر الزجاجي
فاحتضنه برأفة عالم شاسع مبهم ••
سيده الظلام الكثيف •

وتجسدت في مخيلة يوسف بقايا مدن •• ابنية
متهدمة •• فهتف بلا صوت : عمري يتبدد •• أريد
عمر آخر بلا أب •

وتفجر أساه المكبوت : الاشجار نجوم خضراء •
قلبي يطرق بابا مغلقا • دموعي اطفال حزن هرم • لمن
يشحب وجه الشمس ؟ الليل وسادة تحب المتعبين •
دمي ينزف ، يهرقه غياب امرأة نهدها نائم على بساط
ازرق ، يحلم بمدن الرجال •

يوسف يرتجف تحت اللحاف وقد تأكد من انه
مريض •• انه يصطاد نجوما ويقول : ليت الجرح
لا يصرخ • ويقول : اشريقي يا شمس الغضب •
ويأتي الموت متنكرا في ثياب بحار • يوسف يقول
له : ليحملني مركبك الى الشاطئ •

والشاطيء الآخر صوت أخضر ينادي يوسف بكثير
من الحنان • ولا يجيب الموت ، ويبحر مركبه ، ويلوح
يوسف بيده لمسافرين شاحبي الوجوه •

وأقبل الناس الذين يحبون الموسيقى ، وكانوا
يحملون طبولهم وأبواقهم • وتجولوا في حدائق مهجورة •
الليل شعر امرأة • لا لا • الليل أفعى تزحف متغلغلة
في صميم العالم •

ويئن واحد من الرجال الذين يحبون الموسيقى ،
ثم يرفع بوقه الى فمه • وتألق معدنه النحاسي لحظة ثم
انبعث منه صراخ طويل متحشرج •• تخلى عن الخجل
وناح وكأنه صوت البشر المسحوقين الذين يعيشون بذل
فوق الارض الصلبة •

يوسف الآن سيف وعباءة تلاعبها الريح وجواد
يعدو فوق رمال الصحارى •• يسمع صوت امرأة
تستغيت •• اختي تنادينني •

وتمنى يوسف لو تأتي الافعى في تلك اللحظة ،
ولا يريد أن تميته بسمها انما يبغي ان تطوق عنقه
بجسدها البارد ، وتظل تضغط عليه حتى يختنق
ويكف عن الحركة •• وعندئذ سينأى عن أبيه وامه
واخته والسكين العطشى للدم •

ولعق يوسف شفثيه الياستين بلسانه ، ولم يكن
يريد الاستسلام للسبات لأنه كان يعلم انه سيشاهد
أثناء نومه سبع بقرات عجاف ذات خوار حزين ، قرعى
في حقل بلا عشب ، وستكون السماء سقفا صلدا واطئا
من الجراد والذباب •

لن يستسلم يوسف لليأس • سيظل يبحث عن
اخته طوال أيام الشتاء متمسكا تحت المطر والثلج غير
آبه للريح والصقيع ولكنه لن يتمكن من العثور عليها ،
وسيتأمل بأسى الاشجار الجرداء وستكون كالمسولات •
ولن تترك أصابعه مقبض المدينة القابعة في جيبه •

وتمثل يوسف اخته يوم طلبت من أبيه السماح
لها بالذهاب الى السينما مع بنات خالتها ، فصفعها الاب
بقسوة ، ولن ينسى يوسف نظرة عينيها الذليلتين
ونشيجها المكتوم •

وعندما سيأتي الربيع ويعود للسماء صفاؤها ،
وتسطع الشمس دافئة ، وتكتسي الاشجار بأوراق
خضراء • ستقوده قدماه الى سوق الخضار ، وهناك
سيمشي على مهل منصتا الى أصوات الباعة • وبغثة
سيبصر فتاة تحمل في يدها حقيبة من قماش ، وستكون
منهمكة في مساومة أحد الباعة • وسيتراجع يوسف
مضطربا : انها اختي •

وستلمس أصابعه مقبض المدينة ، وسيرقب اخته
•• انها امرأة صغيرة متعبة •• بأسة وسعيدة في وقت
واحد • وسيتذكر يوسف يوم كان مريضا ومستلقيا
على ظهره ، يئن متوجعا ، وحين فتح عينيه شاهد اخته
قربه تبكي بصمت •

وستسير الاخت وهي تحمل حقيبتها الممتلئة
بالخضار ، وسيقترب منها أحد الحمالين عارضا عليها

عليها حمل الحقيبة فترفض الاخت ، وسيقول يوسف
لنفسه : سيدة المنزل الصغيرة تريد توفير النقود *
وسيتبعها يوسف ، وعندما تصبح في شارع خاو
سيدنو منها حتى تلامس كتفه كتفها فتلتفت مستطلعة
فتباغت برؤية أخيها ، وتتسمر متجمدة في مكانها ،
وتفقت اصابعها حقيبة الخضار ، وستنظر اليه بعينين
فيهما ذل وأسى وحنان ثم ستمد اليه يدها ، وسيشعر
يوسف بأنها ليست اخته وانما هي امرأة صديقة سافرت
طويلا ، وها هي الآن تعود مادة اليه يدها لتصافحه *
وسيمد يوسف يده بحركة ذاهلة ، ثم سيظلان واقفين
دون كلمة * وسيمر شاب ويرمقهما بنظرة خبيثة وكأنها
تهتف : ها هما شابان عاشقان * وسينحني يوسف ،
ويحمل حقيبة الخضار ثم سيسألها بصوت خشن :
كيف تعيشين ؟

- تزوجت من شاب فقير *

وستهرب كل الكلمات من يوسف ولكنه سيدرك
ما حدث : شاب فقير ، طيب القلب ، وفتاة تريد ان
تحيا * * وأب لن يزوج ابنته من فقير *
وسيسيران معا ثم ستقف الاخت عند مدخل بناية
وتقول : وصلنا *

وسيعرف يوسف انها تسكن في القبو ، وسيضع
حقيبة الخضار على الارض ريثما تفتح اخته الباب ثم
سيحمل مرة اخرى حقيبة الخضار ، ويدلف الى الداخل ،
وستستقبله على الفور رائحة مخلوقين ينامان في سهرير
واحد ويضحكان ويتخاصمان ولكنهما لا ينامان حزنين *

وسيرتمي يوسف على مقعد .. وكم سيكون
مريحا . وستلمس أصابعه ثانية المديّة .. سينهض
الآن وينتضي المديّة ذات الشفرة الحادة ، وسيقبض على
شعر اخته وي طرحها أرضا ويذبحها بينما هي تغمغم
بصوت هلع خافت : أخي أخي .

وسيتذكر يوسف أيام كان واخته صغيرين .. كان
يكبر اخته بأعوام قليلة وقد جاءت إليه ذات مرة باكية
وأخبرته ان ابن الجيران ضربها وقد سارع وقتئذ الى
الحارة وضرب ابن الجيران .

سيقول يوسف للمديّة : موتي .. ظلي بعيدة
عن الدم .

وستأتي الاخت ، وتتقف امامه وقد خلعت معطفها
.. يا للشوب الرائع الذي ترتديه ! .. ثوب امرأة منزل .
ستقول له : كيف حال أمي ؟

وسيظل يوسف يرقبها بصمت ، وستندفع فجأة
الى النحيب وهي تتمتم : كل اللوم على أبي . لن أسامحه
.. عذبنا كثيرا .

لقد عذبنا . لقد عذبنا .

وسيبعد يوسف يده عن المديّة ، ويخرجها من
جيبه ، ويضعها تحت ذقن اخته ، ويرفع وجهها اليه ،
وسيكون مبللا بالدموع فيجففه بمنديله وهو يقول بحنو
ورقة :

- لا تبكي .

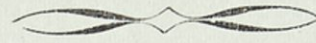
وربما وثبت على حين غرة ، وقبلت وجنته ..

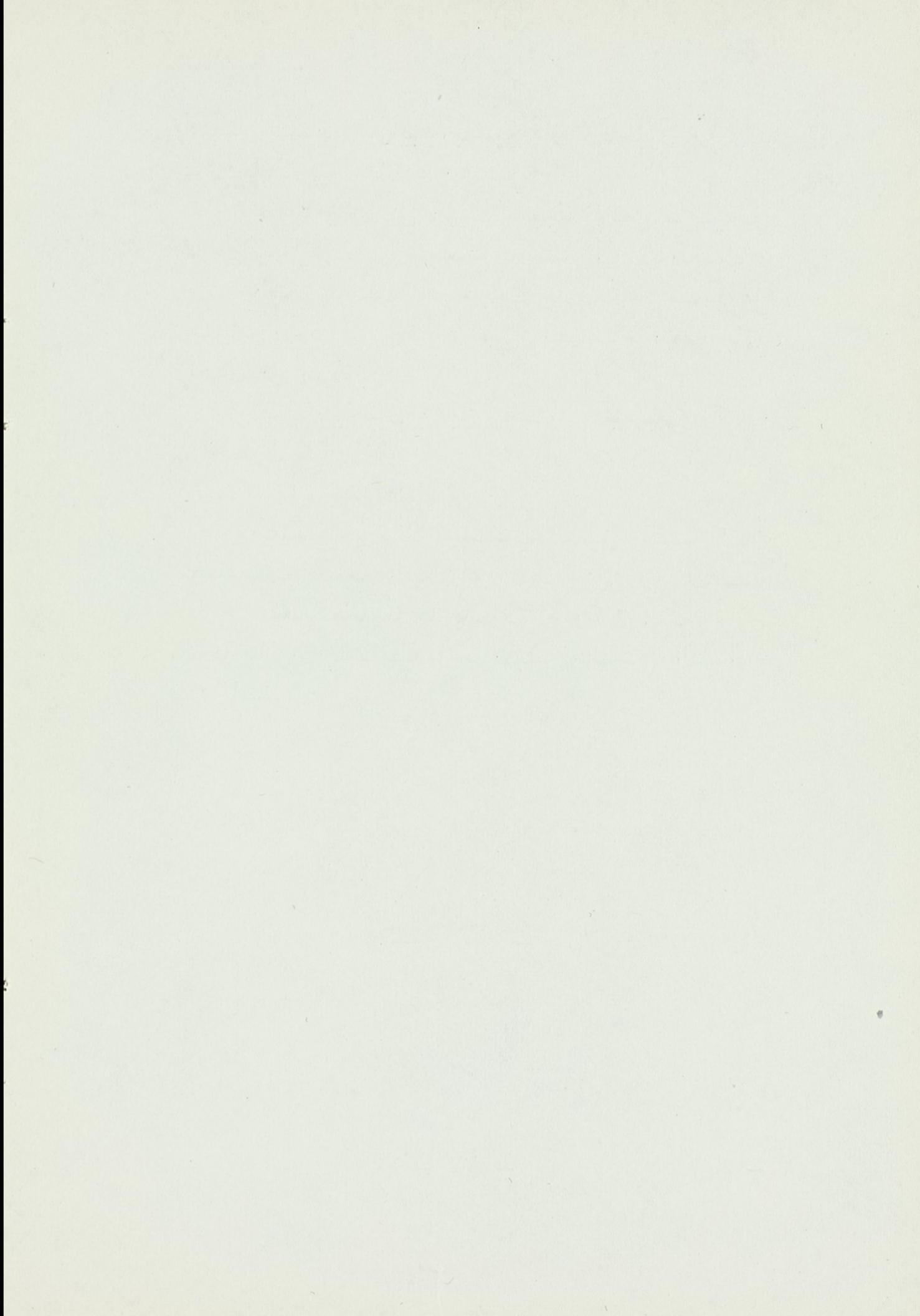
وعندئذ ستمتلىء شرايينه باغنية عارمة للحبور .. وقد
يقول لها : هيا هيا .. ابتسمي .

وعندما يعود الى البيت سيجد الافعى مرتمية في
الباحة ميتة باردة . وسيتطلع بانتصار الى أبيه المكتئب .
واجتاح يوسف حنو عجيب جارف وهو متمدد على
الفراش وود لو ينهض ويضيء المصباح الكهربائي
ويحرق الى المرأة .

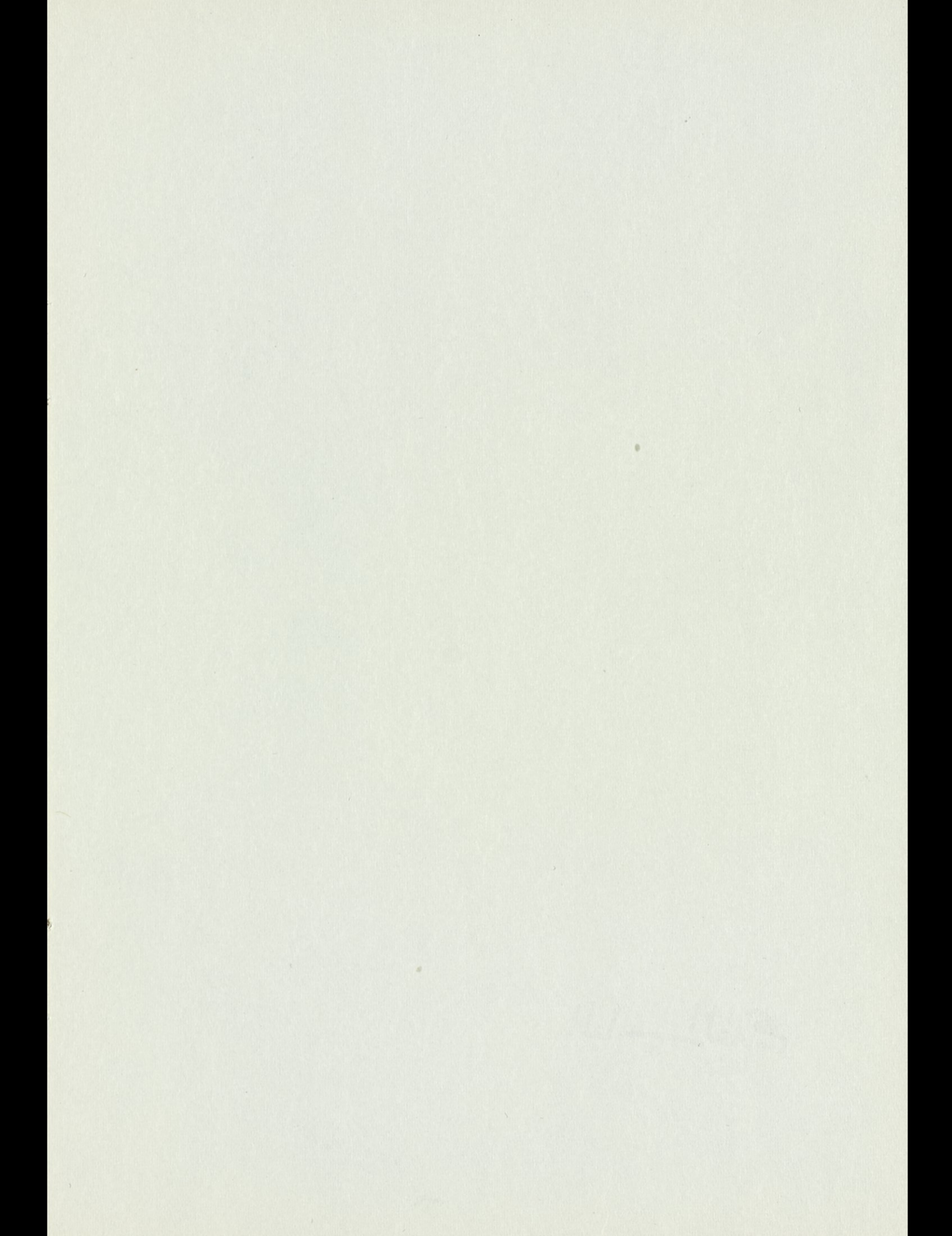
وأقبل الرجال الذين يحبون الموسيقى وكانوا
لا يحملون طبولا وأبواقا .. غير أن أصواتهم الشادية
كانت كسهل أخضر لا نهائي .

واستسلم يوسف للسبات العميق بينما كان
يتصاعد من باحة البيت مواء قط حزين وكأنه نداء
ضارع يناشد مخلوقا ما بالعودة . وكان الثلج خارج
الغرفة ما يزال يتساقط مانحا الابنية والناس والشوارع
قناعا أبيض .





الباب القديم



غادر الحانة جندي ذو شعر أشقر ، مخلفا وراءه
ضجيج رجال سكارى ، وجوههم سمراء ، وأعينهم وديعة ،
غير أنها تبدلت لحظة لمحنته ، واتقدت فيها الكراهية
والصرامة لأنه واحد من جنود غرباء غزوا مدينة لم
يولدوا فيها .

وتلقفه صمت الشارع الذي كان آئذ خاويا
فعندما يشارف الليل على الانتصاف ، تستسلم المدينة
للسبات ، فتطفأ أنوار النوافذ ، وتقفر الطرقات وتمسي
ملكا للمتسكعين والمقامرين والسكارى العائدين الى
منازلهم بخطى متعبة .

وسار الجندي الغريب بمحاذاة سور النهر ،
مترنحا قليلا . وأنعشه بعض الشيء الهواء الخفيف
الذي كان يهب محملا برائحة الياسمين والليمون والآس .
وكان خرير المياه المترققة بهدوء ينساب الى سمعه
وكأنه شكوى حزينة خافتة .

وبلغ ساحة المدينة الرئيسية ، وهناك وقف
هنيهات حائرا ثم سلك طريقا فرعية ، غرست في وجه
أرضها الحجرية سكة الترام ، وتناثرت على جانبيها

دكاكين ، أبوابها حديدية مقفلة ، وأعمدة خشبية متباعدة
تتدلى منها مصابيح كهربائية ، بخيلة الضوء .
وتعمد الجندي السير بين قضبي السكة الحديديين
• انه الآن ترام • وسرى اليه قليل من الفرحة • انه
ترام يتهادى بطيء السير • وتذكر أيام كان صغير
السن ، يركب القطار ويقف قرب احدى نوافذه يرقب
الحقول الخضراء والقرى المتعاقبة بسرعة تحت نظراته
بينما الهواء يبعثر خصلات شعره الأصفر الناعم على
جبينه •

انه الآن ترام سريع • • ثمل • وأخذ الجندي
يركض برتابة بين قضبي السكة مترنحا وقد تزايد
مرحه • وقلد الترام مطلقا من فمه صوتا حاد النبرة :
تم تم تم •

وتابع عدوه حتى تعب ، وعندئذ توقف لاهثا ،
مجحلا أنظاره فيما حوله • وكان الى يمينه درب مظلم ،
يلوح في آخره مصباح كهربائي وحيد •
وكانت التعليمات تحذر الجنود الغرباء من السير
فرادي ليلا في أزقة المدينة •

وأحس الجندي أن هناك في الدرب خطرا غامضا
يربض منتظرا مقدمه • وحفزه شوق مبهم لأن يجابه
الخطر ويتحداه • فسار في الدرب الخاوي مغنيا بصوت
أجش متقطع حتى وصل الى نهاية الدرب حيث المصباح
الكهربائي • وكان هناك باب كبير من أبواب المدينة •
باب قديم كان يغلق فيما مضى من الليالي ليحمي المدينة
من أعدائها •

واستند الجندي الى الباب ، وخيل اليه أن يسمع
صليل سيوف وصهيل جياذ وأصواتا تتعالى مرددة :
الله أكبر .

وانتابه بغتة خوف غريب . وسمع وقع أقدام ،
فارتعش متوجسا ، واشتد التصاق ظهره بالباب . وبدأ
رجل وامرأة يسيران معا ويتحدثان بالفة . وكانت المرأة
ترتدي ملاءة سوداء . واستطاع الجندي أن يلمح وجهها
قبل أن تسدل عليه نقابها القاتم بحركة سريعة من
يدها ، وكان وجهها أبيض فتيا تألق عبر العتمة بكثير
من العذوبة والفتنة .

وتضاعفت وحشة الجندي الغريب ، وتفاقم
سخطه على شيء ما . ووجد نفسه يتحرك دون وعي ،
ويعترض طريق الرجل والمرأة ، تسيطر عليه رغبة جارفة
في رؤية وجه المرأة عن قرب وبلا نقاب .

وأطلقت المرأة صيحة ذعر خافتة ، ووقفت خلف
الرجل محتمية به متمسكة بخاصرتيه .

وتقدم الجندي مادا يديه الى الأمام كأعمى ، وتمايل
مترنحا محاولا الإمساك بالمرأة ولكن الرجل صده بيديه ،
ودفعه في صدره دفعة قوية ، أجبرته على التقهقر الى الخلف
بينما ولولت المرأة بصوت حاد ، فتسمر الجندي في
مكانه حائرا ، مرتبكا ، شديد الحنق . وتناهى الى
مسمعه وقع أقدام سريعة ، وما لبث أن أقبل ثلاثة
رجال ، يرتدون الشراويل السوداء ، ويضعون على
رؤوسهم طرابيش حمراء ، وتحلقوا فورا حول المرأة
ورجلها وقال أحدهم للمرأة :

— لا تخافي يا أختي لا تخافي •

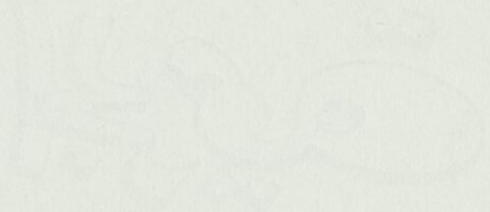
ووقف الرجال الأربعة قبالة الجندي متحفزين ،
وساد صمت عجيب • وسمع بوضوح هدير النهر الذي
كان يتابع رحلته من أول المدينة حتى آخرها •

وشعر الجندي بأن ثمة خطرا مميتا يهدده فمد
يده الى وسطه ، وحاول اخراج مسدسه من مغلفه
الجلدي • فانقض عليه الرجال الأربعة ، وتخاطفته
أيديهم ، وطرحته أرضا ، وفتح الجندي فمه ، وأراد
الاستغاثة غير أن خنجرا صلب النصل ضرب عنقه في
تلك اللحظة فاضمحل الصراخ ولم يفلت منه سوى
شهقة ضئيلة ممتزجة بحروف كلمة ما •

وانحنى الرجال الأربعة ، وحملوا جثة الجندي ،
والقوها في النهر القريب المظلم • وصعد صوت سقوطها
في الماء كاستغاثة لن يسمعا أحد ، ثم هيمن السكون
لحظات ، وما لبث أن هزمه وقع أقدام تركض مبتعدة
عن دماء لطخت رقعة أرض قريبة من باب عتيق كبير •
وكان الباب فيما مضى قسما من سور حجري شاهق
يطوق منازل المدينة ويحميها من الأعداء ، ولقد فتح
الباب مرات عديدة ، وتدفق منه الرجال والخيول
والسيوف الفولاذية •• غير أن السور تهدم الآن ، ولم
يبق منه سوى أطلال مبعثرة ، وظل الباب مفتوحا •

الجمعة

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100



كان سليمان الحلبي يمشي بخطى متتدة مبتهجا
بالهواء الذي يهب فيما حوله مسقطا الاوراق الصفراء من
الاشجار المنتصبة على جانبي الشارع . وكانت يده
قابعتين في جيبى بنطاله كطفلين نائمين . وحين توقف
لحظة عن السير ريثما يشعل سيجارة ، دنا منه رجلان ،
وجاههما متجهمان ، وطلبا منه هويته بلهجة صارمة .
وارتبك اذ عرف مهنتهما . وقد كانا طويلي القامة ،
قسمات وجهيهما متشابهة الى حد عجيب . وأعاد
الرجلان الى سليمان أوراق هويته ثم طلبا منه
مرافقتهم ، فأطاعهما دون تفكير ، وسار وهو يقول
لنفسه : لا بد ان ثمة سوء تفاهم .

واقتراده الرجلان الى مخفر غير بعيد . وأدخلاه الى
غرفة لها ثلاث نوافذ مفتوحة للشمس والهواء والسماء .
وكان يجلس في صدر الغرفة ، رجل ذو شارب سوداء ،
امامه مكتب حديدي ، تكومت على سطحه اكديس من
الورق الابيض .

وقال سليمان لنفسه : هذا رجل اسود .

وقال الرجل الاسود متسائلا : هل أنت سليمان
الحلبي ؟

فأحنى سليمان رأسه بالايجاب دون ان يتفوه
بكلمة ، وتناول الرجل الاسود ورقة بيضاء موضوعة على
الكتب وطفق يقرأ برتابة وكسل :

« في ليلة السادس من حزيران شاهد سليمان
الحلبي حلما قتل فيه الجنرال كليبر »

وتوقف الرجل الاسود عن القراءة ، وتطلع الى
سليمان الحلبي بعينين صارمتين بينما تحول الرجلان
الى تمثالين من حجر ، متسمرين قرب احدى النوافذ ،
وكانت المدينة خلف النافذة • وتسائل الرجل الاسود
مخاطبا سليمان :

– هل هذا صحيح ؟

فغمغم سليمان الحلبي مستنكرا :

– لا لا • أنا لا أعرف الجنرال كليبر •

فالتفت الرجل الاسود نحو الرجلين ، وقال لهما :
– احضرا الشهود •

ولم يتحركا غير ان باب الغرفة فتح بعد لحظات ،
ودلف الى الداخل ثلاثة أشخاص ، ثيابهم معفورة
بالتراب ، ووجوههم صفراء كأن اصحابها عاشوا مئات
السنين في قبور تمقت الشمس • وعرفهم سليمان على
الفور وكانوا رجلا هرما وامرأة كهلة وفتاة في مقتبل
العمر •

وقال الرجل الاسود : ليتقدم الشاهد الاول •

وابتعد الهرم منفصلا عن المرأة الكهله والفتاة ،
واقترب من مكتب الرجل الاسود ، ووقف امامه محني
الظهر ، وقال بصوت كأنه منبعث من اسطوانة عتيقة
تدور بتشاقل تحت ذراع الحاكي :

— في ليلة السادس من حزيران شاهدت سليمان
الحلبي يقتل الجنرال كليبر .
فقاطعه سليمان هاتفا : ابي .
فلم يابه الهرم له ، وتابع كلامه قائلا :

— ابصرته يطلق من مسدس ضخيم سبع رصاصات
اخترقت جسد الجنرال وانبثق الدم من سبعة ثقوب .
وكان الحزن في تلك اللحظة فارسا يمتطي صهوة جواد
غير مروض ، وقد وطأت سنابكه لحم سليمان بينما
غرس الفارس سيفه في القلب تماما ، ولكن سليمان لم
يمت انما سمع الرجل الاسود يقول :
— الشاهد الثاني :

وتقدمت المرأة الكهله ، ووقفت بجانب الرجل
الهرم وقالت :

— رأيته يقتل الجنرال وكان يحمل فأسا ، وقد
رفعها الى أعلى ، وأهوى بها بكل قوته فشطر الرأس الى
قطعتين ، وسقطت الجثة قربي ، واستطعت رؤية النخاع
ممزقا خارج الجمجمة المهشمة .

وأشارت نحو سليمان الحلبي بأصبح لا ترتجف ،
وقالت :

— هذا هو القاتل .

• فتمتم سليمان الحلبي بحسرة : أمي أمي
فرمقته الكهله بقسوة ، وقالت له :

– امك امرأة واحدة فقط •

وتذكر سليمان يوم كان صغير السن ، يلعب في
الزقاق ، ملطخا ثيابه بالطين ، فوقفت أمه على عتبة باب
البيت ، وكشفت عن صدرها الشديد البياض ، وقالت
له منادية بحنو : تعال تعال •

• وقال الرجل الاسود : الشاهد الثالث •

• وتطلع سليمان الحلبي الى الفتاة بنظرات اسيانة
ولم تتحرك الفتاة ، فدمدم الرجل الاسود بغضب :

– الشاهد الثالث •• ليتقدم •

وظلت الفتاة متجمدة في مكانها غير انها بدأت
بالكلام قائلة :

– رأيتك راكبا سيارة ، دهست الجنرال ، ومرت
فوقه عدة مرات حتى تحول الى لحم لا شكل له •

وصاح سليمان الحلبي :

– ماذا حدث يا اختي ؟ ألم اتركك في البيت وقد
طلبت مني ان اشتري لك مشطا ؟

• واخرج يده من جيبه حاملة مشطا أسود اللون
وقال الرجل الاسود :

– لينصرف الشهود •

واشار بيده بحركة ضجرة الى الشهود الثلاثة
فتجمعوا في الحال متلاصقين في كتلة واحدة ، واتجهوا
نحو الباب ، وما لبثوا ان غادروا الغرفة •

وضع الرجل الاسود سيجارة بين شفثيه ، وحين
رفع يده نحو السيجارة حاملة عود الثقاب المشتعل ،
لاحظ سليمان ان يد الرجل الاسود غريبة فجلدها كثير
التجاعيد فكأنه جلد سرطان ميت ، ظل زمنا مديدا تحت
شمس قاسية .

ونفت الرجل الاسود دخان سيجارته ، وتابعه
بنظراته بينما كان يتلوى صاعدا في جو الغرفة ثم
يتلاشى بتكاسل ، وقال لسليمان :
- هل سمعت ما قيل ؟ ان الادلة على جريمتك
ثابتة .

- لم اعترف بشيء .
- اعترافك ليس مهما . لقد اعترف غيرك بذنبك .
- انا بريء .
فتجهم وجه الرجل الاسود ، وقال بصوت بارد
وقاس :

- لماذا ولدت ما دمت بريئا ؟ جئت الى هذا العالم
كي تهلك . وستهلك دون احتجاج . أنت مجرم ، وكنا
نراقبك منذ أمد طويل فالناس المشبهوهون نعرفهم بسرعة
ولا يستطيعون خداعنا .

وتناول الرجل الاسود اوراقا بيضاء من على سطح
المكتب ، واخذ يقرأ ما كتب فيها :

« في الثالث من نيسان في الساعة الحادية عشرة
وثلاث دقائق تطلع سليمان الحلبي الى القمر ، وقال
لنفسه : القمر سعيد لأنه لا يعيش في مدينة حاكمها
الجنرال كليبر » .

وتألق القمر في مخيلة سليمان الحلبي ، وكان
قمرًا تهرول نحوه سحب قرمزية •

« في يوم الحادي عشر من مايس في الساعة الثامنة
صباحًا فتح سليمان الحلبي أبواب اقفاصه وأطلق سراح
عصافيره » •

وتذكر سليمان رغبة في البكاء اجتاحتها بينما كانت
العصافير في بدء انطلاقها عبر الفضاء الأزرق ترفرف
بأجنحتها بارتباك واضطراب •

« وفي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الثاني من
حزيران خطر في ذهن سليمان الحلبي ان العالم سيكون
سعيدًا لو هلك بعض الاشخاص » •

ورمى الرجل الاسود الاوراق على المكتب بحركة
ساخطة ، وقال :

– ألم أقل لك ان امثالك لا يستطيعون خداعنا ؟
وظل سليمان صامتًا وقد استغرب ان ينمو في
اعماقه شعور حقيقي بالذنب ولكنه كان في الوقت نفسه
شديد الاقتناع ببراءته •

وابتسم الرجل الاسود ، ولحق بلسانه شففته
السفلى وقال :

– ستعدم في الساعة السادسة •
فألقي سليمان نظرة سريعة على ساعته فألفاها
توشك ان تصبح السادسة ، فانتابه الهلع ، ورفض
تصديق ما حدث حوله ، واعتبره مجرد حلم سيصحو
منه بعد لحظات على هزة من يده وسيسمع صوتها •
وقال الرجل الاسود بتشف : ستعدم •

- ألن أحاكم ؟

فضحك الرجل الاسود ، وقال :

- انتهت المحاكمة • انا القاضي •

وتناهى الى سمع سليمان صفير قطار ، لا بد ان
القطار يهدر الآن مارا تحت الجسر ، قاذفا دخانه في
سحابة صغيرة لن تعيش طويلا وستضمحل اثر ابتعاد
القطار •

- هل سأموت شنقا ؟

- لا •

- هل سيطلق النار علي ؟

- لا •

- هل سأحرق ؟

- لا •

- هل سأدفن حيا في التراب ؟

- لا •

وأشار الى الرجلين قائلا :

- هيا •• نفذوا الحكم بالاعدام •

الساعة الآن هي السادسة تماما • والمدينة
مستسلمة بفتور لضياء الشمس الآفلة ، وكانت كامرأة
ترغب في النوم قليلا بعد أن أنهكتها العمل لأجل اولادها •
وعري سليمان الحلبي من ملابسه كلها ، ولم
يخجل من وقوفه عاريا عريا كاملا أمام اعين الرجال
الثلاثة ، وكانت السيارات تعبر الشوارع وهي تزعق
بأبواقها عند المنعطفات • واخرج الرجلان من خزانة

خشبية مدية كبيرة ، ثم القيا سليمان على الارض ، ولم
يحاول المقاومة •

وكان بجانب الرجل الاسود ، منضدة قصيرة
انقوائم ، ملتصقة بالجدار ، يقبع فوقها مذياع صغير ،
مد اليه الرجل الاسود يده • وبعد قليل انسابت منه
اغنية لامرأة ، صوتها مفعم بالعذوبة والشجن ، ويتلاقى
فيه الريح والمطر والحنان العارم •

وانصت الرجلان قليلا للاغنية ثم تحولا الى
جلادين ، وبترا اصابع اليد اليمنى بالمدية ، فصرخ
سليمان متألما ، وتدفق الدم • خمس اصابع كانت
ملكا لسليمان الحلبي ، وقد صافحت الاصدقاء ولمست
باشتهاء لحم النساء وكان باستطاعتها في لحظة غضب
خنق مخلوق ما •

وقال الرجل الجلاد لزميله : يا لها من اغنية •
ماذا تغديت ؟

فأجاب الرجل الآخر :

- حساء وقليل من الخبز • اسناني تؤلمني •
- مسكين •

واشعل الرجل الاسود سيجارة اخرى ، وتركها
معلقة بين شفثيه لتحترق على مهل •
وقطع ساعد سليمان ، فتأوه وأطلق صرخة
حيوان ، صرخة طويلة مبحوحة • ولقد كان سليمان
يجلم بأن تنام الفتاة التي سيحبها على ساعده لا على
وسادة محشوة بالصوف او القطن •

وقال احد الرجلين بينما كانت اصابعه تلتف
حول مقبض المدية وكأنها تتوق لأن تصير قطعة منها :

– ليلة الامس شاهدت فيلما وكان سخيفا .
– كل الافلام سخيفة في هذا الاسبوع .
وكانت اغنية المدياع تصعد وتبوح بالعذاب المر
الذي يبقي اثر اندثار الحب .

واضحل مرفق سليمان . وكان مرفقا يتكئ
على حواجز الانهر ومناضد المقاهي ، ويلكز الاصدقاء .
وجثا احد الرجلين على ركبتيه ، وبتر الذراع
اليمنى كلها بحركة سريعة بينما كان الرجل الثاني
يمسك بسليمان لمنع من الحركة ، ولم يحاول سليمان
الحلبي المقاومة انما كان ينتفض كلما مست المديعة
لحمه ، ويتلوى على الارض الناعمة الملساء بينما الدم
يتابع تساقطه ذا الايقاع الكئيب .

وفتحت دور السينما ابوابها ، وغادرها روادها
بخطى متثاقلة . وبترت ذراع سليمان اليسرى . ولو
كان سليمان الآن متسولا يمشي في الشوارع لاستدر
الشفقة ولانهمرت النقود عليه فهو بلا ذراعين ، ولن
يستطيع معانقة امرأة ، واذا جاع فمن سيضع اللقمة
في فمه ؟

وكان الرجل الاسود يبتسم منتشيا بالاغنية
المنبعثة من المدياع . وتابع الرجلان عملهما ، وابتدأ
جسد سليمان الحلبي ينقرض متضائلا رويدا رويدا ،
وكانت الاعضاء المقطوعة تلقى جانبا . وكان الناس في
الشوارع يسرون على الارصفة ، وبعضهم يقف قليلا
امام واجهات المكتبات متطلعا الى عناوين الكتب
والجرائد . وكانت اصوات بائعي اوراق اليانصيب

تتصاعد مطاردة المارة بالحاح : ستربح مئة ألف ليرة •
وكانت الباصات تواظب على المسير متوقفة بين الحين
والحين في امكنة معينة •

وقال الرجل الاسود مخاطبا الرجلين :

— لننته بسرعة • لدي موعد •

وتخيل الرجل الاسود بيته • لا بد ان ضيوفه
ينتظرون مقدمه • ولا بد ان زوجته ترحب بهم ، وتقدم
لهم فناجين القهوة • وكانت زوجته جميلة ، ويشعر
الآن بأنه يحبها بضراوة •

وكان الرجلان في تلك اللحظة متغضني الجبين ،
ويدهما ملوثتين بالدم •

وقال الرجل المسك بالمديّة لزميله :

— الى اين تنوي الذهاب بعد العمل ؟

— الى المقهى •

— انا سأذهب الى البيت ، سأقرأ قليلا من الشعر

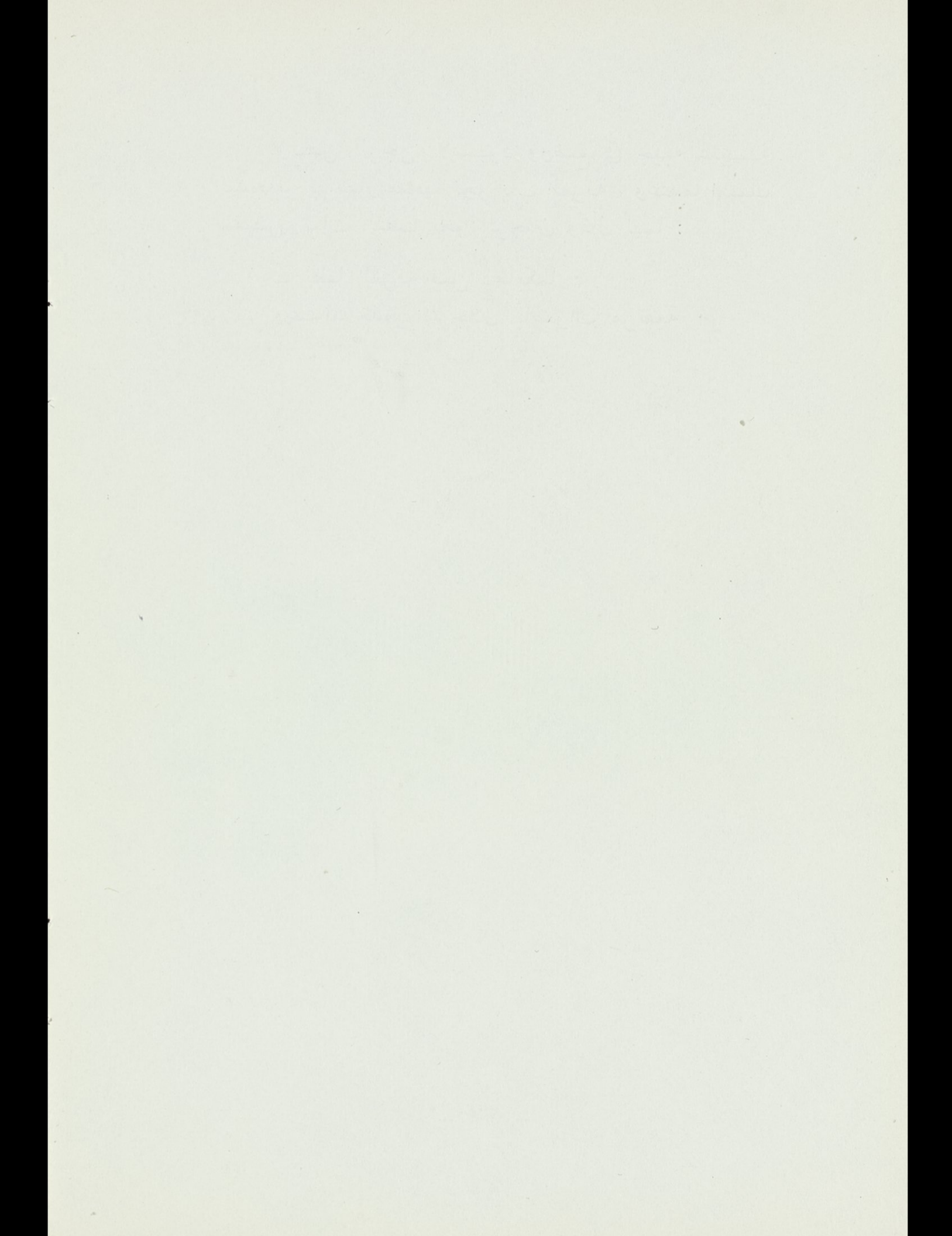
ثم أنام •

ووضع حد المديّة على عنق سليمان الحلبي ،
واغمض سليمان عينيه بينما كان يحس بنصل المديّة
يلامس حنجرتة موشكا على ذبحها ، وشاهد نجوما
تبزغ وكأنها عصافير ميتة •

وجمع الرجل الجلاد قوته ، وضغط على المديّة ،
فاخترقت اللحم والعظم اللدن ، وفصلت الرأس الذي
تدحرج مبتعدا عن قطعة اللحم الباقية ، وكانت قلبا
وكتفين • وظلت عينا سليمان الحلبي مفتوحتين ، تطل
منهما نظرة بلهاء •

ونفض الرجل الاسود ووضع في جيبه علبة
السجائر ثم سار متجها نحو باب الغرفة ، وعندما امسك
بمقبض الباب التفت نحو الرجلين وقال لهما :

- - نظفوا الغرفة قبل ذهابكما
- وعندئذ تدمر الرجلان بأصوات مرتفعة



شیرین

كان أبو فهد عائدا الى البيت ، يمشي بخطى
متباطئة ، مترنحا قليلا عبر أزقة ضيقة متعرجة ،
تضيئها مصابيح صفراء متناثرة متباعدة .
وضايق أبا فهد الصمت المهيمن فيما حوله ، فبدأ
يغني بصوت خفيض مترنما :

مسكين وحالي عدم

وكان الليل اوشك ان ينتصف . وازداد ابو فهد
غبطة ، وكان قد شرب ثلاثة أقداح من العرق ، وردد
ثانية منتشيا :

مسكين وحالي عدم

وخيل اليه ان صوته الخشن مفعم بعذوبة فائقة ،
فقال لنفسه بصوت مرتفع : انا مطرب .

وتخيل ناسا ذوي أفواه مفتوحة ، يلوحون
بأيديهم ويهتفون ويصفقون . فضحك طويلا ، ثم أمال
طربوشه الاحمر الى الخلف قليلا . وعاد يغني ببهجة :

مسكين وحالي عدم

وكان يرتدي شروالا رمادي اللون ، ويحيط
خصره بحزام أصفر عتيق . وعندما وصل الى تحت

القنطرة حيث الظلمة أقوى من النور ، بوغت برؤية
خروف صغير اسود ، يقف لصق الحائط ، ففتح فمه
مدهوشا ، وقال لنفسه : انا لست سكرانا • انظر
جيذا يا رجل • ماذا ترى ؟ هذا خروف • اين صاحبه ؟
وتطلع حوله فلم يجد أحدا ، وكان الزقاق مقفرا
تماما • ثم حذق الى الخروف وقال لنفسه : هل انا
سكران ؟

وضحك ضحكة خافتة ثم قال لنفسه : الله كريم ،
لقد عرف أن أبا فهد وأم فهد لم يأكلا لحما منذ اسبوع •
واقترب أبو فهد من الخروف ، وحاول اجباره على المسير
بدفعه الى الامام غير انه رفض التحرك ، فأمسك أبو
فهد بقرنيه الصغيرين ، وجره منهما ، ولكن الخروف
ظل متجمدا لصق الحائط • فرمقه أبو فهد بغيظ ثم
قال له :

- سأحملك وأحمل أيضا والدك وامك •

وحمل أبو فهد الخروف ، ورفع ووضعه على
ظهره ممسكا قائمته الاماميتين بيديه ، ثم تابع مسيره
معاودا الغناء ، وقد تضاعف فرحه ونشوته • ولكنه بعد
قليل كف عن الغناء إذ احس ان الخروف يزداد ثقلا
وطولا • وسمع على حين غرة صوتا يقول : اتركني •
فقطب أبو فهد جبينه ، وقال لنفسه : لعن الله
السكر •

وبعد لحظات سمع الصوت نفسه يقول : اتركني ،
انا لست خروفا •

فارتعد أبو فهد ، ودفعه رعبه للتشبث بالخروف .
وتوقف عن السير . وقال الصوت مرة أخرى :
- انا ابن ملك الجان . اتركني وسأعطيك ماتريد .
فلم يجب أبو فهد ، انما استأنف السير بخطى
متعجلة ، فقال الصوت :

- سأعطيك سبع جرار مملأ بالذهب .
وخيل لأبي فهد انه يسمع رنين قطع ذهبية
تتساقط من مكان ما قريب ، وترطم بالارض .
فأفلت الخروف ، واستدار وهويوشك ان يهتف :

هات

ووجد نفسه وحيدا في الزقاق الضيق الطويل .
ولم يعثر على الخروف ، وبقي متسمرًا في مكانه هنيهات
مرعوبا ثم تابع المسير مهرولا . وحين وصل الى البيت
أيقظ زوجته ام فهد من نومها ، وأخبرها بما حدث ،
فقالت :

- نم انت سكران .
- لم اشرب سوى ثلاثة اقداح .
- انت تدوخ من قدح واحد .
فشعر أبو فهد أنه قد أهين ، فأجاب بتحد :
- انا لا أدوخ اذا شربت برميلا من العرق .
فلم تفه ام فهد بكلمة ، وراحت تتذكر الحكايات
التي سمعتها وهي طفلة عن الجان ولهوهم .
وخلع أبو فهد ثيابه ، واطفاً المصباح الكهربائي
ثم تمدد على الفراش بجانب زوجته ، وسحب اللحاف
حتى ذقنه .

وقالت ام فهد فجأة :

– كان عليك ان لا تتركه قبل ان يعطيك
الذهب سلفا .

فلم يجب أبو فهد ، و اردفت ام فهد قائلة بحماس :

– اذهب غدا ، وامسكه ولا تتركه .

فتشاءب ابو فهد متعبا حزينا ، وقال باعياء :

– وكيف سأجده ؟

– ستجده حتما تحت القنطرة . احضره الى البيت

ولن نتركه الا بعد ان يعطينا الذهب .

– لن أجده .

– الجان يعيشون في النهار تحت الارض . وعندما

يأتي الليل يصعدون الى سطح الارض ويلهون حتى

يقبل الفجر . واذا احبوا مكانا معيننا ترددوا اليه

باستمرار . ستجد الخروف تحت القنطرة .

ومد ابو فهد يده الى صدرها ودسها بين ثدييها ،

وتركها هناك دون حركة . وقال :

– سنصبح اغنياء .

– سنشتري بيتا .

– بيتا له جنينة .

– وسنشتري راديو .

– راديو كبير .

– وغسالة .

– غسالة .

– لن نأكل برغلا .

- سنأكل خبزاً ابيض .
- فضحكت ام فهد كطفلة بينما كان ابو فهد يتابع قائلًا:
- سأشتري لك ثوبا احمر .
- وهمست ام فهد بلهجة عاتبة : أثوبا واحدا فقط ؟
- سأشتري لك مائة ثوب .
- وصمت ابو فهد لحظات ثم قال متسائلا :
- متى ستلدين ؟
- بعد ثلاثة اشهر .
- سيكون صبيا .
- لن يتعذب مثلنا .
- لن يجوع .
- ستكون ملابسه نظيفة وجميلة .
- لن يبحث عن عمل .
- سيتعلم في المدارس .
- لن يطالبه صاحب البيت بالاجرة .
- سيكون طبيبا حين يكبر .
- اريد ان يكون محاميا .
- سنسأله : اتريد ان تصير محاميا او طبيبا .
- والتصقت به بحنو ، وازدفت متسائلة بلهجة
ماكرة :

- ان تنزوح مرة ثانية ؟
- فعض اذنها عضه خفيفة ، وقال :
- لماذا اتزوج ؟ أنت أحسن نساء الارض .
- ولاذا بالصمت ، يغمرهما فرح كبير هاديء ،

ولكن أبا فهد أقدم بعد قليل على أبعاد اللحاف عن
جسمه بحركة مباغطة ، فسأله ام فهد :

- ما بك ؟

- سأذهب الآن .

- الى أين ؟

- سأجىء بالخروف .

- انتظر حتى ليلة الغد ، نم الآن .

وترك الفراش بعجلة ، واضاء المصباح الكهربائي

المتدلي من السقف ، وطفق يرتدي ملابسه .

- قد لا تجده .

- سأجده .

فقالت ام فهد وهي تساعده على لف خصره

بالحزام الاصفر :

- اياك ان تتركه .

وأحس أبو فهد انه مقدم على اقتحام مخاطرة ما .

وهو سيكون بحاجة لخنجره ، وكان خنجرا محدودب

النصل ذا لمعة كامدة .

وغادر البيت ، وانطلق مسرعا حتى وصل الى

تحت القنطرة . وغمرته الخيبة اذ لم يعثر على الخروف .

وكان الزقاق خاويا ، ونوافذ البيوت المتناثرة على

الجانبين مطفاة الانوار .

فوقف ابو فهد منتظرا دون حركة ، مسندا ظهره

الى الحائط . وتناهى الى سمعه بعد قليل ضجة تقترب ،

وما لبث ان بدا رجل سكران يترنح مرتطما بجداري

الزقاق بينما كان يهتف بصوت ممطوط :

– هيه •• انا رجل •

وحين اقترب من ابي فهد توقف عن السير ، وفتح
عينيه محملاً بتعجب ودهشة • وقال بصوت متعثر
فرح :

– ماذا تفعل هنا ؟

– امش •

فقطب السكران جبينه مفكراً ثم تهلل وجهه
فرحاً وقال :

– انا والله احب النساء أيضاً ، هل تنتظر ان ينام
الزوج وتفتح لك المرأة الباب •

وتضايق أبو فهد ، وأحس بالاستياء ينمو في داخله
بينما تابع السكران كلامه قائلاً :

– هل المرأة جميلة ؟

فقال أبو فهد بحنق : اي امرأة ؟

– المرأة التي تنتظرها •

– امش •

– سأكون شريكك •

واشتد غضب ابي فهد ، فقد كان يخشى ان لا يظهر
الخروف لان السكران موجود فقال بشراسة :

– امش في طريقك والا كسرت رأسك •

فتجشأ السكران ، وقال بلهجة دهشة :

– انت تأمرني ؟ انت من انت ؟

وصمت لحظة ثم أردف قائلاً :

– تعال واكسر رأسي ، هيا •

فقال أبو فهد : اذهب واتركني • لا أريد ان اكسر رأسك •

فقال السكران بسخط :

— لا لا • تعال واكسر رأسي •

وتراجع قليلا الى الخلف ، وقال بصوت مرح :

— سأجعلك غربالا •

ودس السكران يده في جيب شرواله واخرج منه موسى طويلة النصل • فسارع أبو فهد ، ومد يده الى حزامه منتضيا خنجره بينما كان السكران يدنو منه بحذر وسرعة •

ورفع أبو فهد خنجره الى أعلى ، واهوى به ، فتحرك السكران الى اليسار بشكل خاطف مفاجيء فلم يمسه الخنجر ، ودفع موسى في صدر ابي فهد هاتفا : خذ • وسحب موسى من اللحم متراجعا الى الوراء بعض الشيء • والتصق أبو فهد بالحائط الترابي ، ورفع الخنجر ثانية غير ان موسى السكران طعنته مرة اخرى في الصدر ، وطعنته مرة ثالثة في الكتف اليمنى فتهدلت على الفور الذراع ، وافلقت الاصابع الخنجر فسقط على الارض •

وصاح السكران وهو يتواثب حوله :

— خذ •• خذ •

وطعنه في خاصرته ، فشقق ابو فهد ، واحس بالضعف يدهم ركبتيه فحاول ان يظل واقفا بثبات غير ان موسى كانت تطارد لحمه ، وتصطدم به وتمزقه دون هوادة •

• وصاح السكران : خذ •

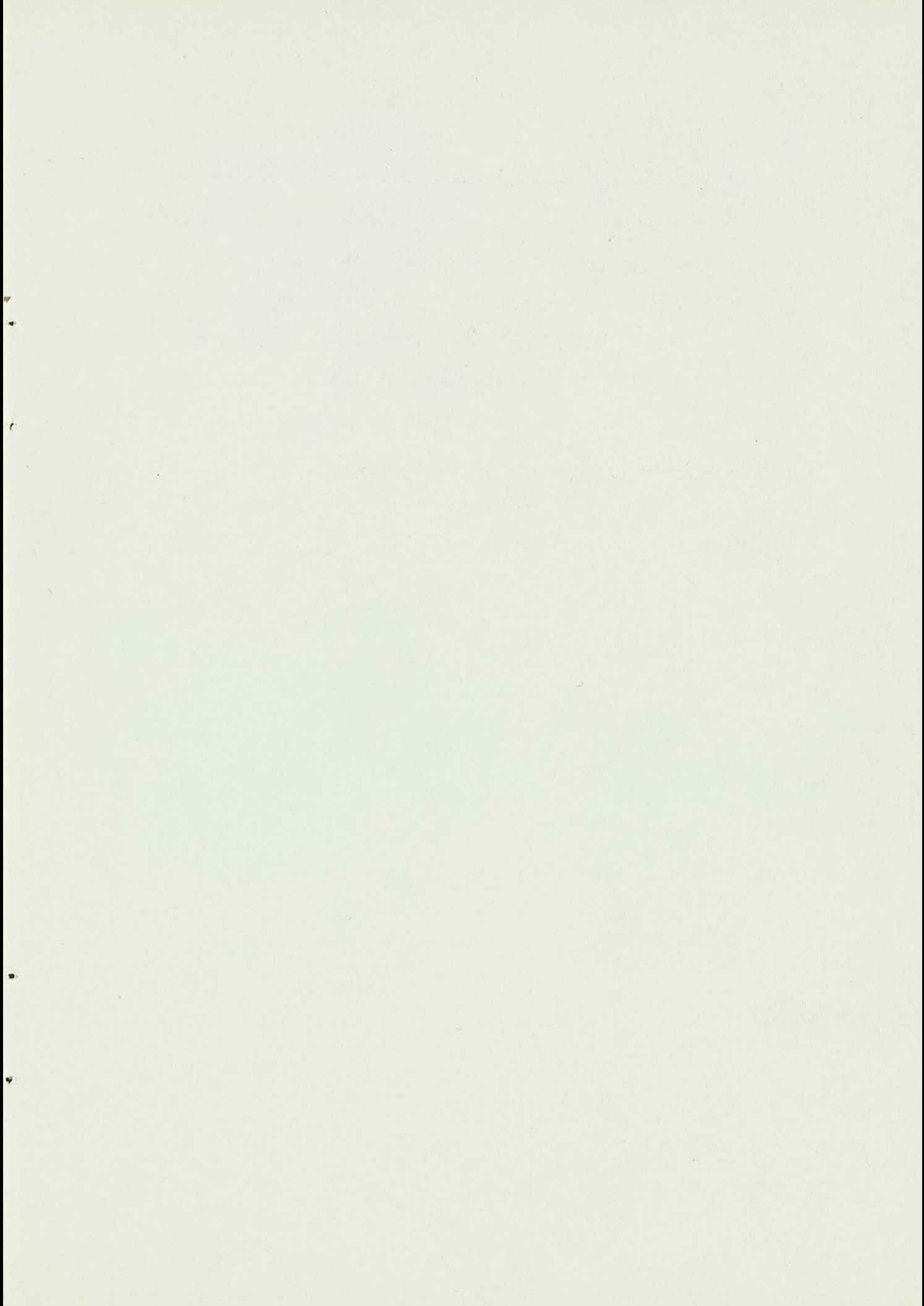
• وطعنه في بطنه ، فاندلقت الامعاء الى الخارج •
• وضغط ابو فهد عليها بيديه ، وكانت حارة مرتعشة
• مبتلة ، وانزلق منها الى اسفل ، وارتمى على ظهره ،
• بينما كان السكران ينحني وهو واقف على مقربة منه ،
• ويسعل عدة مرات ويتقيأ ثم يركض مبتعدا •

• وسمع ابو فهد الخروف يقول له :

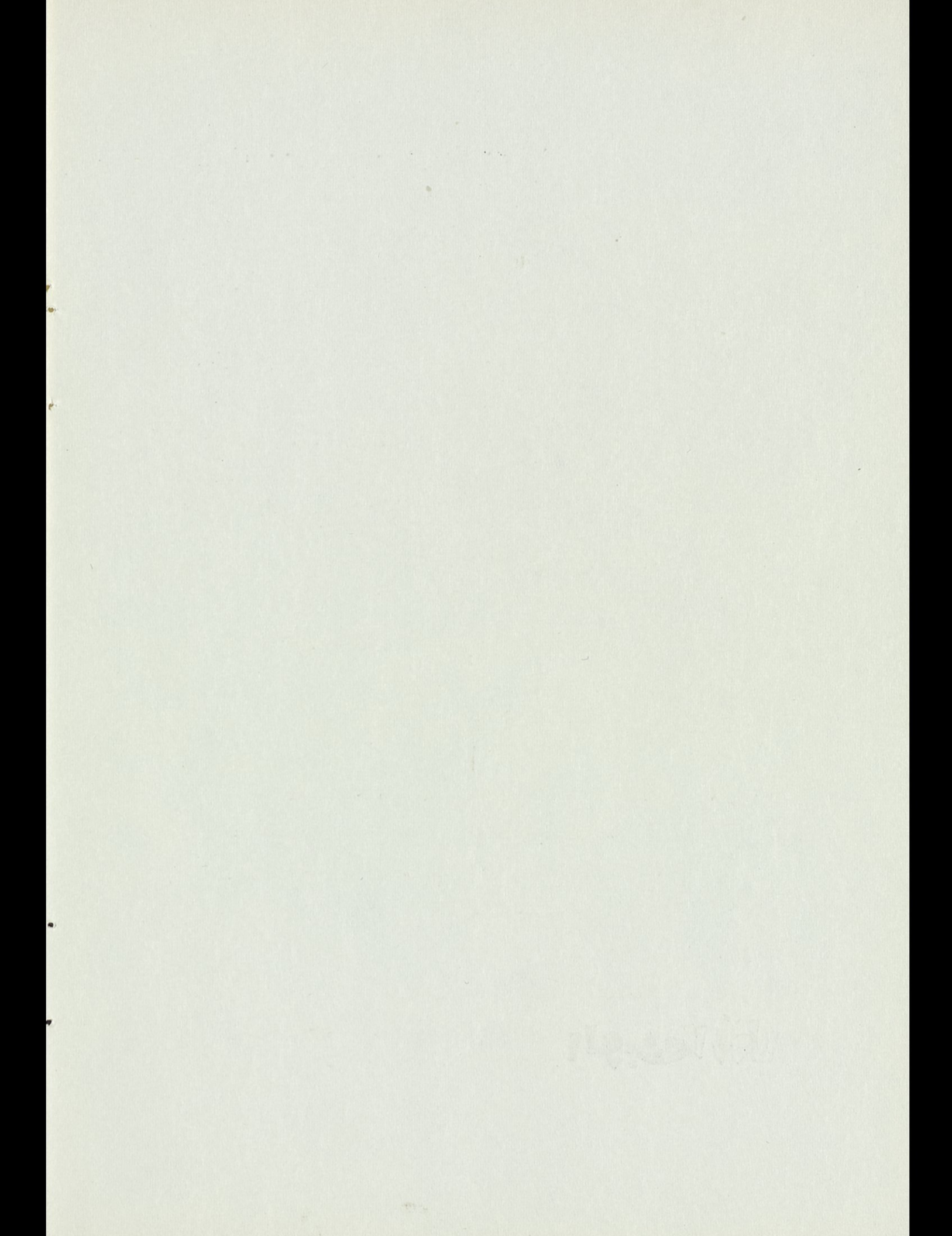
• - سبع جرار من الذهب •

• وتساقط ذهب كثير ، وتوهج كشمس صغيرة ،

• ثم ابتداء صوته ينأى رويدا رويدا •



الوجه الأول



وقف مأمون أمام مرآة خزانة الثياب على رؤوس
أصابع قدميه محاولاً أن يبدو طويل القامة غير أنه ظل
طفلاً لا يتجاوز عمره السادسة ذا وجه أبيض وسيم ،
تتهدل على جبهته خصلة شعر سوداء • فاشتد غيظه ،
ومد لسانه بهزاء • وأبصرته أمه في تلك اللحظة فتوقفت
عن التحدث مع جارة بدينة ، وهتفت باستياء :

- مأمون ، ماذا تفعل ؟

- اتفرج على لساني •

- ستوسخ المرأة • ابتعد عنها •

فأطاع مأمون أمه ، واقترب من الشباك المفتوح
المطل على باحة البيت ، وتطلع الى السماء الزرقاء التي
كان يعبرها آنذاك غراب يرفرف بجناحيه السوداءوين ،
فصاح مأمون على الفور بصوت رفيع حاد : قاق قاق قاق •

وخيل اليه أن الغراب لا بد قد سمعه ، وسينحدر
نحوه • وعندئذ سيطلب مأمون منه أن يصطاد عصفورا
جميلاً ويحضره اليه حياً • وبادرت الام الى زجره قائلة
بلهجة صارمة :

— اسكت ، كف عن الزعيق .. هيا .. اخرج
من الغرفة ..

فاحتج مأمون قائلا : ماذا فعلت ؟

فقالت الأم : هيا .. تحرك .. العب في الباحة
دون ضجة ..

واحنقه أن يلمح نظرة خبيثة متشفية في عيني
الجارة البدينة الجالسة قرب أمه على الأريكة ، وحنى
رأسه ، وغادر الغرفة متمهلا ، وابتدأ يهبط السلم
الحجري الموصل الى الباحة بينما هو يحصي درجاته
مرددا بصوت عال : واحد .. اثنان .. ثلاثة ..

وتجول مأمون في الباحة متضايقا متدمرا ، ثم
جلس القرفصاء قرب أصص مزروع فيها نبات أخضر ذو
أوراق صغيرة .. وقد اعتادت أمه أن تعني بالأصص
أشد العناية فتسقيها كل صباح وتنقلها من الشمس
الى الظل ..

وتطلع مأمون الى أعلى حيث شباك الغرفة ثم مد
يده بسرعة ، واقتطف من كل أصيص بضعة أعواد من
النبات الأخضر ، وسارع الى وضعها في فمه ، وراح
يمضغها متذوقا طعمها الحامض .. وكانت أمه تغضب
وتؤنبه كلما لاحظت نقصا في أعواد النبات الأخضر .. وقد
شكته مرة لابيها الذي ضحك وقال لها : سيصبح ابنك
خروفا ..

وكان ثمة بحرة في وسط الباحة ، وقد دنا
مأمون منها ، وغمس يديه في مائها الساكن ، وكانت المياه
التي تتدفق من صنوبرين حديدين مقطوعة ..

وهرول مأمون الى المطبخ ، وأحضر قنينة مليئة
حتى نصفها بزيت الزيتون ، وصب منها بضع قطرات
على وجه الماء ، فتشكلت في الحال ألوان عديدة زاهية ،
سطعت ببهاء وفتنة تحت ضياء الشمس . وسئم مأمون
بعد حين من مراقبتها ، فأعاد الى المطبخ قنينة الزيت ،
وأخذ قطعة فحم من كيس كبير من الورق ثم عاد الى
الباحة مبتهجا ، وهناك وقف أمام الحائط المطلي بالكلس
الأبيض ، وطفق يرسم عليه ما يشبه رجلا ، وضحك
حين أضاف اليه ذيلا ، ورسم عينا كبيرة ذات أهداب
طويلة ، وشرع يتأملها ، وخيل اليه أنها ترمقه بحدة
وغضب فسرى اليه دعر غامض . وتناهى اليه وقتئذ
صغير قطار ، فرمى قطعة الفحم ، وتحول فورا الى قطار .
وركض حول البحرة مقلدا صغير القطار وضجيج آلاته .
ولم تمض سوى لحظات حتى أطلت أمه من الشباك ،
وهتفت بصوت غاضب : احرص يا عفريت .

فكف مأمون عن الركض ، ولاذ بالصمت .
وأضافت الأم قائلة : هيا ، اخرج والعب في

الزقاق .

فأحنى مأمون رأسه ، وفتح باب البيت ، ولكنه
لم يخرج منه انما عاد مسرعا الى المطبخ ، وأخذ من خزانة
الطعام الخشبية رغيفا ، وقسمه الى قطع صغيرة ،
حشاها في جيبه بنطاله ثم غادر البيت .

وابتهج وجه ناديا ابنة الجيران حين رأتها ، وقالت
وهي تمد نحوه يدها القابضة على كرة من المطاط
خضراء اللون :

— تعال .. العب معي *

فلم يفه مأمون بكلمة انما دس يديه في جيبي
بنطاله ، وسار محني الظهر ، بطيء الخطى وهو يحس
أنه رجل ضخمة الجثة مثقل بالغم * وتبعته ناديا ، ورددت
بصوت رقيق : تعال .. العب معي *

فتوقف مأمون عن المسير بينما كررت ناديا قائلة
بالحاح : تعال العب معي *

فانحنى على الارض ، والتقط حجرا ، ورفعهمهددا ،
وقال بلهجة جافة : سأضربك *

ففوجئت ناديا ، وتراجعت الى الخلف بينما كانت
تطل من عينيها نظرة انكسار ، تهم بالتحول الى دموع *
وتابع مأمون سيره * وضغط بأسنانه على شفته
السفلى حتى تألم ، وعندئذ قال لنفسه : لا أحد يحبني
* * * سأموت *

وصمم وهو يلمس قطعة الخبز المحشوة في جيبي
بنطاله أن لا يرجع مطلقا الى البيت * وجد في سيره حتى
نأى عن الزقاق ، وبلغ شوارع عريضة ، فحرص أن
يسير بحذر وتوجس على الأرصفة بمحاذاة جدران المباني
العالية بينما كانت السيارات والباصات تهدر في وسط
الطريق *

وأخرج مأمون من جيبه قطعة خبز ، واقتطع جزءا
منها بأسنانه ، وشرع يمضغها ببطء وتشف * وكان
الناس يمرون حوله متسارعي الخطى *
وأشد الصخب انشودة مفعمة بالحياة والحرارة *

وابتدأ ينأى عن مأمون انقباضه ، ويحل محله فرح دون
سبب . واسترعت انتباهه واجهة احدى الدكاكين ،
وكانت مكتظة بدمى ققط وكلاب ودببة وفتيات ذوات
شعر أشقر وفتيان صغار يرتدون ثياب بحارة .

وابتسمت الدمى لمأمون وخيل اليه انها جائعة ،
فمد قطعة الخبز نحوها ولكن الدمى ظلت تبتسم
دون حركة .

ومرت بجانب مأمون امرأة تمسك بيدها طفلا
يقاربه في العمر ، له عينان كبيرتان ما كرتان . وفجأة
فتح الطفل فما واسعا وأخرج منه لسانا أحمر فتجهم
وجه مأمون ، وانظفا فرحه الصغير ، وشتم الطفل الغريب
الوقح الذي حاول أن يفلت من يد أمه ويهجم على مأمون
لكن أمه جرته الى داخل محل لبيع الأحذية .

واستأنف مأمون سيره ذاهلا وسط الضجيج .
ولكنه توقف بعد حين أمام واجهة محل لبيع الأزهار .
وفتنه قرنفل قرمزي يتوهج خلف الزجاج . وتذكر
مأمون وجه أمه ، وتجسد في مخيلته باسم طافحا
بالحنان . وخفق دمه مضطربا في شرايينه ، وارتبكت
خطواته ، وكان مأمون في تلك اللحظة مجرد طفل في
السادسة من عمره ، يمشي حائرا عبر شارع صاحب .
وخارت عزيمته غير أنه عندما تخيل صيحات أمه المؤنبة عاودته
الشجاعة والتصميم على عدم الرجوع الى البيت . وتخيل
البيت ساعة يقبل المساء . سيسأل والده عنه .
وسيؤنب أمه . فتبكي وتقول : فتشوا عن مأمون .

وسيبحثون عنه في الشوارع كلها ، وسيعثرون عليه
بعد تعب كبير • وسيرفض مأمون العودة الى البيت ،
وسيكون وجهه جامدا بلا دموع • وسيهديه والده دراجة
لها ثلاث عجلات وجرس ، وستقبله أمه وتعانقه بلهفة ،
وعندئذ فقط سيقبل بالرجوع الى البيت • وسار مأمون
في شارع جديد • واذا بحشد من الناس متحلقين حول
تراام ، فهروا مأمون ، واندس بينهم ، وشق بجسمه
الصغير طريقا له حتى أصبح يقف في المقدمة ، ولقد
شاهد صبيا ممددا على السكة الحديدية وقد بترت
عجلات الترام ساقيه ، وكان لون الدم أحمر امتزج
بعويل الصبي الفاجع •

وأقبلت سيارة الاسعاف ، وحمل الصبي الى
داخلها ، ثم ابتعدت مسرعة ، وظلت ساقا الصبي
مطروحتين على سكة الترام •

وبكى مأمون بصوت عال ، ودفع الناس الذين
كانوا يصخبون فيما حوله ، وأمسك به أشخاص
عديدون فأفلت منهم بينما كان نحيبه يتزايد • واستطاع
رجل كهل الامساك به من كتفيه وهو يقول :

— ما بك يا ولد ، لا تخف •

فردد مأمون : أريد ماما •

— أين أمك ؟

— في البيت •

— أين بيتكم ؟

وتحلق حوله عدد من الرجال والنساء ، وأخذوا

يسألونه :

- ما اسمك ؟

- ما اسم والدك ؟

- أين تسكن ؟

وحاول مأمون أن يجيب لكن صوته اختنق ،
وضاعت الكلمات كلها ، فاكتفى بالبكاء بينما الناس
يتكاثرون حوله ويشتمون ضجيجهم .

1
2
3
4
5
6
7
8
9
10
11
12
13
14
15
16
17
18
19
20
21
22
23
24
25
26
27
28
29
30
31
32
33
34
35
36
37
38
39
40
41
42
43
44
45
46
47
48
49
50
51
52
53
54
55
56
57
58
59
60
61
62
63
64
65
66
67
68
69
70
71
72
73
74
75
76
77
78
79
80
81
82
83
84
85
86
87
88
89
90
91
92
93
94
95
96
97
98
99
100

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1906

كان أحمد بلا سجائر ، كتلة لحم مسترخية على
وجه سرير . يهب عليه من النافذة المفتوحة هواء مثقل
بأريج صيف موشك على القدوم . وكان أحمد راغبا في
ايقاظ زوجته النائمة بجواره ليقول لها :
- رجع الصيف يا سميرة .

وكان أحمد يحب الصيف ، ففي الصيف الماضي
تزوج سميرة . ويحلوا له على الدوام أن يتخيل الصيف أميرا
ذهبي الشعر والوجه ، له يدان خشنتان وخطان ، ما أن
تلمسان الحقول حتى تمتليء بالسنابل الصفراء وتولد
بهجة شبيهة بسرب عصافير يحوم عبر السماء الزرقاء .
وكان باستطاعة أحمد في تلك اللحظة سماع أنفاس
سميرة المتصاعدة بانتظام . ولقد استسلمت للنوم
وهي حزينة غاضبة فقد آلمها أن تتحدث طويلا عن أختها
التي زارتها في النهار وعن زواج قريبتها ثم تكتشف
فجأة أنه لا يصغي اليها فتصيح حانقة : تبدلت .

ثم تردف وقد ازداد سخطها : لم تعد تحبني .
وحدق احمد آنذاك الى وجهها الذي يحتفظ بطفولته
متحديا الأيام المتعاقبة ، وقال بصوت بارد أجوف :

— قولي باختصار انك ندمت على الزواج من فقير ، ولا بد
انك اشتقت للحياة مع أهلك الأغنياء •

فأجابت سميرة بنزق : لماذا تذكرني بأهلي
وكانهم عار •

وتفاقم حنقه ، وأجاب بهزاء : لا تخطئي فهمي ،
أنا أفتش عن مصلحتك وسعادتك ، ألم ينصحوك بعدم
الزواج من شاب مثلي •

فشحب وجهها ، وتلألاً الحزن في عينيها ، وكان
بمقدور احمد وقتئذ أن يحدثها عن رسالة شقيقه القابضة
في جيبه •• ويطلب فيها منه نقوداً ليشتري سجائرًا
•• شقيقه الصغير الشرس الذي سجن بسبب اقدامه
على ضرب احد الاشخاص •

وكان أحمد بلا نقود أو سجائر ، وتصور احمد
شقيقه السجين متجههم الوجه متقلص الفم ، ولا بد أن
حنينه الى التدخين يعذبه دون رأفة • احمد يتعذب
مثله ، ويحس ان دمه ولحمه وفمه صراخ تواق الى
الامتزاج بسحب الدخان المتصاعدة من التبغ المحترق •
وقد راقب قبل عودته الى المنزل الناس يسيرون في
الشوارع ويدخنون ، ومنعته كبرياؤه من الانحناء
والتقاط عقب سيجارة ، رماه الى الارض رجل أنيق
بحركة لا مبالية من يده ، وشعر احمد بذل ، ورثي
لحالته ، واكتسحته رغبة حمقاء بالبكاء كأمرأة هرمة
فقدت جميع أولادها الشبان ، وأدهشته هذه الرغبة •
ولقد كانت زوجته على حق حين هتفت : تبدلت •

وكانت قبل عام تقول : سنعيش سعداء •
فيكون أحمد الصدى الذي يردد كلماتها بحماس :
سنعيش سعداء •

وكان أهلها يقولون لها : ستجوعين معه •
وكان والده يردد على الدوام : يولد الانسان
الفقير ، وما أن يكبر حتى يركض وراء الرغيف ثم يجد
نفسه عجوزا قريبا من القبر •

ولقد ركض أحمد طويلا ، وما زال يتابع الركض •
وتذكر كلمات أمه الموجهة اليه وإلى اخوته : اياكم
يا أولاد أن تناموا وأنتم مكتئبون مهما تكن حياتكم بائسة •
وتطلع أحمد إلى زوجته الغارقة في النوم ، ومد
يده بحركة آلية إلى كتفها وهزها مناديا بصوت
خفيض : سميرة سميرة •

فانتفضت مستيقظة، وقالت بصوت واهن : ما بك ؟
- لم أستطع النوم ، معدتي تؤلمني • ربما أفادني
الشاوي الساخن •

ونفضت دون تدمر ، وحينما أضاعت المصباح
الكهربائي تطلعت إليه بوجه يرين عليه النعاس والحنان،
وقالت : لن أغيب طويلا •
وصاح أحمد حين فتحت الباب وهمت بالخروج :
سميرة •

فالتفتت نحوه متسائلة : أتريد شيئا آخر ؟
فقال وهو يبتسم : شعرت الآن براحة وزال
الألم ، ارجعي ونامي •

فأطفأت النور ، ورجعت الى السرير ، وتمددت
بجوار احمد الذي سألها :

- هل انت غاضبة .

فأجابت بسرعة : لالا ، كنت سريعة الغضب

وبلهاء .

ودست وجهها في صدره كطفلة تلوذ بأمها ،
وبعثت حركتها هذه في جسده حبورا كغناء عصفور
فرح بالربيع العائد . وقال لنفسه : أصدقائي كثيرون .
غدا يوم عطلة . سأستدين من أحدهم مبلغا من المال ،
وسأرسل قسما منه لأخي ، وسأنفق الباقي . وتذكر
مقهى أخضر خارج المدينة . وقال احمد بصوت مرتفع
مخاطبا سميره : أتذكرين المقهى الذي كنا نقضي فيه
الكثير من أوقاتنا أيام الخطبة ؟

ولم تجب سميره فتابع قائلا :

- سنذهب اليه غدا ، ونقضي نهارنا هناك ،

ما رأيك ؟

ولم يسمع من سميرة أي جواب ، فقد عادت
للاستسلام الى النوم . وكان احمد سعيدا فرغبته في
التدخين انطفأت . انه يستنشق الأريج الغامض الذي
يحملة الهواء المتسلل من النافذة المفتوحة التي كان يمر
تحتها في تلك اللحظة سكران يغني بصوت خشن .

واستسلم احمد للسبات رويدا رويدا بينما كان
يتناهى اليه من بعيد صوت السكران الخشن الذي
يجد فيه عذوبة عجيبة . وشاهد أثناء نومه الصيف ،
وكان طفلا ذهبي الشعر والوجه ، يلعب على شاطئ
رملي .

النص

Miss [unclear]

اتكأ عمر السعدي بمرفقيه على سور النهر ،
وتأمل منتشياً المياه المنسابة تحت ضياء الشمس •
وخيل إليه لمدة لحظة خاطفة ان النهر امرأة مسحورة
غامضة الفتنة •

وكان النهر في القديم وحيدا ، تتدفق مياهه عبر
ارض مقفرة ، ولقد ظلت الارض مقفرة والنهر وحيدا
حتى أقبل انسان ما ، وجثا وقبل التراب بخشوع ،
وعندئذ نبتت البيوت والدكاكين والمآذن والمقابر •

وكان عمر السعدي يعشق النهر • وقد ابتسم
بغبطة وهو يرمق مياهه التي تغني بأصوات خافتة ،
وكان الهواء يبعثر خصلات شعره على جبهته بينما
السيارات تمر خلفه على اسفلت الشارع •

واقبلت بغتة سيارة البوليس ، وتوقفت بمحاذاة
الرصيف ، ونزل منها اربعة من رجال البوليس ،
فحث المارة خطواتهم وقد استحالت وجوههم الى اقنعة
من الشمع الاصفر •

واقترب رجال البوليس من عمر السعدي وايديهم
على مقابض مسدساتهم المتدللية من خصورهم • واستدار

عمر ليواجه اربعة وجوه متجهمة • وابتدره احدهم
متسائلا بصرامة :

- أنت عمر السعدي ؟

فألصق عمر السعدي ظهره بسور النهر وسمع
صرخة سوداء نائية تمتزج باغنية المياه العميقة • وقال
بصوت خفيض مرتعش :

- أنا عمر السعدي •

فأحاط به آئذ الرجال الاربعة ، واقتادوه الى
جوف السيارة ، وتحلقوا حوله ، وكانوا كحراب صدئة •
وانطلقت السيارة تعبر الشوارع مسرعة ، وبوقها
يرسل ولولة مديدة •

وتحول غناء النهر الى استغاثة خافتة ، واشتد
اضطراب عمر ، فأخرج من جيبه سيجارة ، وحاول ان
يشعلها بيد مرتجفة غير ان واحدا من الرجال اختطفها
من فمه بحركة سريعة ، ورماها خارج السيارة ، ثم
التفت الى عمر وصفعه قائلا له :

- انت لست في مقهى •

فانكمش عمر مندعورا • وكان النهر في تلك اللحظة
نائيا تترقرق مياهه حزينة تحت شمس صفراء •

وتوقفت السيارة على حين غرة ، وجر الرجال
الاربعة عمر الى جوف بناء حجري • صعد عمر السلالم
الحجرية • سار في الممرات الضيقة • دخل الغرف
الكثيرة ، وسمع صرخات كأن أصحابها يحرقون • وقال
له رجال عابسو الوجوه : انت اذن عمر السعدي ؟
ودفع عمر اخيرا الى زنزانة • وعندما اغلق بابها

خلفه تطلع عمر فيما حوله فألقى نفسه وحيدا ، ولم يكن للزنزانة اي نافذة • وكان ثمة نور قليل ينبعث من مصباح كهربائي متدل من سلك حديدي قصير مثبت في السقف • وكان هناك ايضا فراش ملقى على الارض كجثة هامدة ، فتمدد عمر فوقه ، وأخفى وجهه في الوسادة فداهمت انفه في الحال رائحة غريبة ، وخيل اليه انها رائحة مخلوقات ستهلك عما قريب •

وحاول ان يتذكر ذنبا اقترفه دون ان يدري • ولم يعد عمر فيما بعد يعرف الليل والنهار • وكان يعذبه ان ينأى عنه غناء النهر الخفي • وبقي في الزنزانة دون ان يوجه اليه احد سؤالا ما • وكان الحارس الذي يحضر اليه طعامه هو الشخص الوحيد الحي الذي يبصره كل يوم ، وقد حاول مرة مخاطبته فكان الجواب ركلة جعلت عمر ينطرح على الارض ويطلق صيحة ألم شبيهة بنباح كلب • وقد خيل الى عمر وقتئذ ان الحارس ليس له لحم أو عظم تحت ثيابه • وابتدأ منذ ذلك الحين يرهبه ويخشاه ، وكان يحس ان دمه طفل ينتحب لحظة يتناهى اليه ارتطام خذاء الحارس بأرض الممر الصلدة ، وابتدأ ينسى النهر وبيته • ولم تكن الشمس تشرق من جبهته • وقد شاهد مرة اثناء نومه امرأة بيضاء الوجه ، شعرها اسود ، وعيناها خضراوان ، انبثقت من النهر يقطر منها الماء ، وكانت فائقة العذوبة ، ولشعرها رائحة قمع يابس •

وحين استفاق عمر من نومه لم يجد المرأة في

زنزانتة غير أنه أحس أنها موجودة قربه ، فنأدى
بضراعة تلك المرأة الخضراء ، واغمض عينيه ، وشاهد
المرأة ثانية ، وكانت عينها مغرورقتين بالدموع ، ولقد
ود لو تتكلم ولكنها ظلت صامتة • وتخيل عمر محكمة
قاضيها مجلل بالسواد ، يطرق منصته بقبضة ضخمة
الحجم ، ويتلو حكما بأن يسجن عمر السعدي في قفص
حتى الموت •

وفتح عمر عينيه ، وأسعده انه لم يحاكم بعد •
واسترعت انتباهه يده التي كانت تتحرك وحدها ،
فتأملها مليا ، وابتسم اذ خامره احساس بأن هذه اليد
غريبة عنه ، وتابع تأملها بخوف ، فتحركت الاصابع
الخمس وكأنها اذرع صغيرة لعقرب ، وانحدرت
الاصابع الى اسفل ، ولمست ارض الزنزانة • وأيقن
عمر ان يده عقرب يدب نحو فريسة ما ، واجتاحه
حماس مفاجيء يبغى القضاء على عدو مبهم • ودب
العقرب ساحبا خلفه عمر حتى اصطدم بأسفل الحائط ،
وعندئذ نهض عمر واقفا ، وابتدأ يمشي محصيا
خطواته : واحدة ، اثنتان ، ثلاث • وتوهج رقم ثلاثة
في مخيلته ، ثلاث نجوم ، ثلاثة جياذ ، ثلاثة انهار ،
ثلاثة فتيات ذوات شعر اسود ووجوه بيضاء •

وبلغ مسمعه وقع حذاء ثقيل يدنو من باب
الزنزانة ، فهرع نحو فراشه ، وجلس فوقه ، وتجمد
متضائلا ، يغمره خوف غريب ، وتفاقم خوفه حتى
تحول الى ألم يرعش اللحم والعظم •

ودار مفتاح في ثقب قفل الباب ، فاشتد هلع

عمر ، ولم يحاول ان يتطلع نحو الباب فقد كان يعلم
ان القادم هو الحارس .

وانحنى الحارس شبحا طويلا اسود ، ووضع على
الارض صحنا ورغيفا . وارتجف عمر ، وابتهل بذل ان
لا يقترب الحارس منه ، ويفاجئه بركلة . وهمس مخاطبا
المرأة الخضراء : انقذيني انقذيني .

وغادر الحارس الزنزانة ، وأوصد الباب خلفه ،
ثم سمع عمر وهو يلهث الحارس يبتعد عن الزنزانة
ضاربا أرض الممر بحذائه الثقيل ، وعندئذ تنهد
بارتياح ، وادار رأسه نحو الباب وقد انحسر خوفه ،
ولم تتكلم المرأة الخضراء ، ولم يسمع عمر هدير النهر .
وتعالى فجأة مواء قط ، فعاد الخوف ضاريا الى شرايين
عمر ، وحدث بامعان ، فأبصر قطا ابيض بالقرب من
صحن الحساء والرغيف فدهش وامتلكه الفرح ، ودنا
منه محاولا الامساك به ، فقفز القط متراجعا الى الورا ،
فحمل عمر الرغيف وصحن الحساء ، واقعى في منتصف
الغرفة تحت نور المصباح الكهربائي ثم حرك اصابع
يده قائلا للقط :

- تعال بس بس .

وكان القط ذا عينين براقيتين ، وقد صدر عنه
مواء خافت منقطع وهو يقترب من عمر .
وقال عمر للقط :

- انت جوعان يا مسكين .

واقطع عمر من الرغيف قطعة صغيرة ، واختار
ان تكون لينة ، وغمسها في الحساء ، ومدّها الى القط ،
فشمها القط ، ولم يأكلها انما تمسح باليد التي تمسك
بها ، فقال عمر له :

- كل . . ألسنت جائعا .

فتلقف القط قطعة الخبز ، وأخذ يمضغها بسرعة ،
وما ان ابتلعها حتى راح يموء مطالبا بقطعة اخرى .
وابتهج عمر ، وطفق يطعم القط وهو يرمقه
بحنان ، ومضى القط حين شبع نحو الفراش ، وقبع
فوقه واخذ يلحق يده ، ويمسح بها جلده . وقعد عمر
على الارض ، وراقب القط هنيهات ثم دنا منه ، ومسح
بيده على ظهره ، وحك بأصابعه تحت ذقنه ، فهر
القط راضيا .

وسأله عمر بصوت مرتفع : ماذا فعلت ؟

وصمت لحظة ثم تابع قائلا : ماذا فعلت حتى

سجنوك ؟

فهر القط ثانية هريرا سعيدا ، وايقن عمر ان
القط يفهم كلماته ولكنه عاجز عن مبادلتة الحديث .
وقال عمر : ماذا فعلت ، هيا قل لي ، السننا
أصدقاء ؟ هل قتلت قطا ؟

واغتبط عمر بسماع صوته ، واستأنف يحدث
القط :

- هل سجنوك لانك لم ترتكب ذنبا ، ؟ هل تملك
بيتا ؟ انت تنام في الشارع وتجوع .
واغفى القط قليلا . وابتسمت المرأة الخضراء
ولكنها لم تفه بكلمة ، وظل عمر يراقب القط حتى
افاق من نومه .

وتمطى القط وتثاءب ثم تجول في جنبات الزنزانة ،
فقال له عمر :

- ها . . بيتنا صغير .

واتجه القبط نحو الباب ووقف لصقه ، وابتداء
يموء فقال له عمر بخوف :

— اسكت •

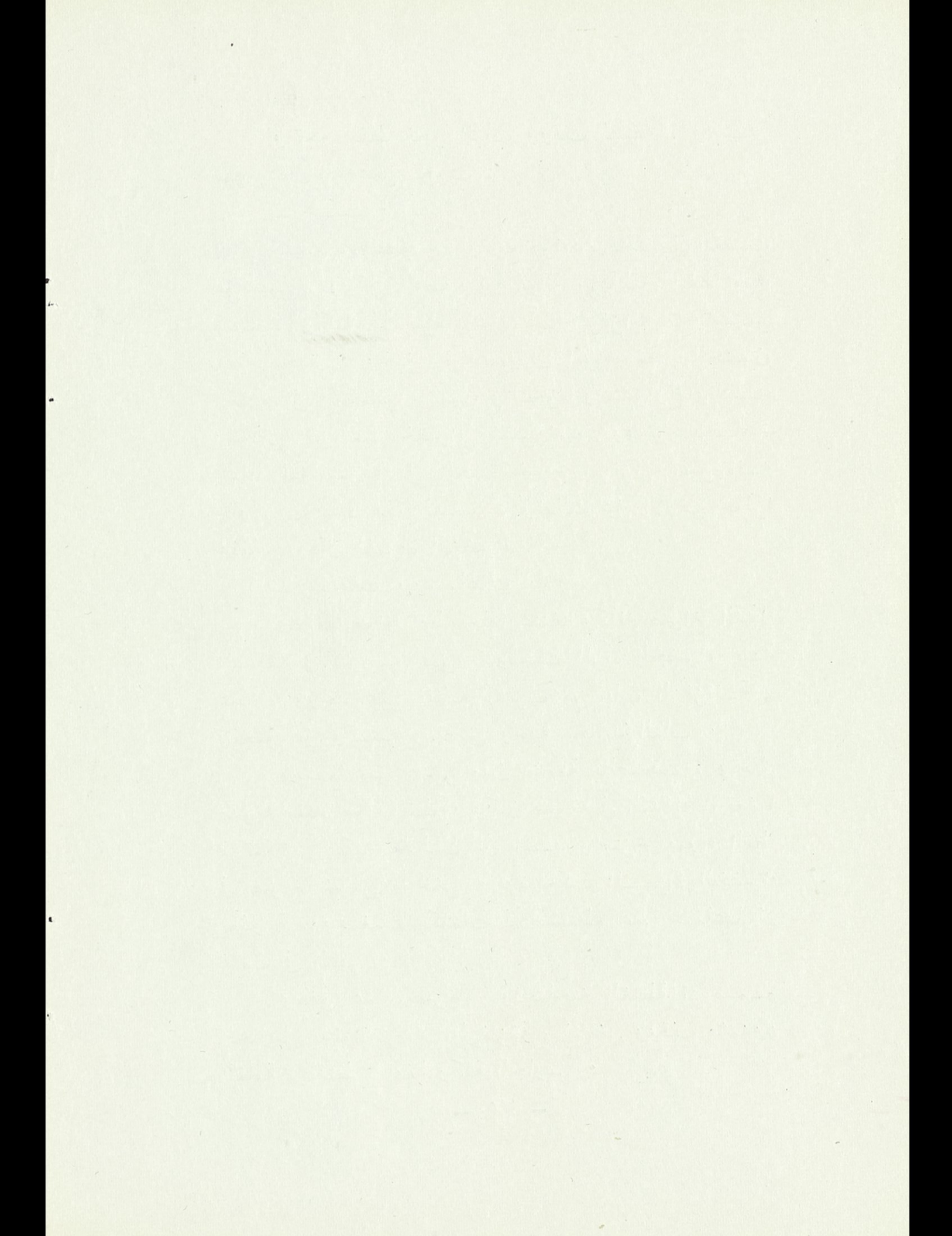
فلم يأبه القبط له ، وتابع مواءه ، فاستولى الغضب
على عمر ، وركل القبط ركلة قوية ، فأطلق القبط مواء
متألماً ، ولكنه لم يبتعد عن باب الزنزانة ، واستمر
يموء بحدة • وخيل الى عمر ان المواء مفعم بالحنين
العارم الى الشمس والهواء والنجوم والشوارع والنساء
اللواتي لهن اعين خضراء وشعر اسود ووجوه بيضاء ،
وعاد اليه شوقه الى الحياة خارج الزنزانة غير انه
حاول ان يبدد هذا الشوق ، وتهالك على الارض حائراً
هلعا ، وقال للمرأة الخضراء :

— سأهلك • • سأهلك •

وصعد مواء القبط حاداً عنيفاً وكأنه صراخ الدماء
المندفعة في شرايين عمر • ولمست المرأة الخضراء جبهة
عمر ، ووجد عمر نفسه يقترب من باب الزنزانة ،
ويجتو على ركبتيه ويلصق وجهه بحديد الباب •

وسمع عمر هدير مدن مفعمة بالصخب ، وتعالى
صوته مقلدا مواء القبط • وكان صوته في البداية مرتعشا
مرتبكا ، ولكنه ما لبث ان اشتد وامتزج بمواء القبط
في صراخ شرس موحش • وضحكت المرأة الخضراء
بعذوبة ، وغمغمت بكلمات لم يستطع عمر سماعها ثم
غابت في النهر •

وظفق عمر يصرخ ، واجتاحته الغبطة اذ سمع
الحارس يدنو من باب الزنزانة ، فنهض ووقف مشدود
القامة ، ينتظر بلهفة ركلة الحارس •



ربيع في البرقار

كان في قديم الزمان مدينة صغيرة ، بنيت وسط
حقول فسيحة خضراء ، يرويها نهر سخي المياه • وكان
ناسها جميعا يحملون في جيوبهم قطعاً من الورق السميك
كتب على كل منها اسم من الاسماء •

كان ناسها مزيجاً من الاغنياء والفقراء ، وكان
الاجنياء مهذبين لطفاء • يملكون القنعة بيضاء واحذية
لامعة ، ويجيدون الرقص والتحدث بنعومة ، ويتقنون
الانحناء برشاقة وتقبيل ايدي النساء ، وكان أطفالهم
ينادون امهاتهم برقة زائدة : ماما •

وكان الفقراء يقهقهون بخشونة في لحظات الفرح ،
ويكثرون من البصق ، ويؤمنون بأنهم سيحلون ضيوفاً
في جنة الله بعد موتهم ، وكانوا ينادون امهاتهم بصوت
فظ ممطوط : يا أمي •

وكان الاغنياء والفقراء يحترمون الموتى احتراماً
شديداً ، فعندما تمر جنازة يتوقف المارة عن السير ،
ويتألق الحزن والخوف في اعينهم ، ويساهم بعضهم في
حمل نعش الميت المجهول الاسم مسافة غير قصيرة •
ولحظة يفتحون افواههم لتتلقف اللقمة الاولى من

طعامهم ، كانوا جميعا يقولون بخشوع : بسم الله الرحمن الرحيم . ويتمتمون في ختام الطعام : الحمد لله رب العالمين .

وعندما كانت تأثم فتاة ما في المدينة ، كان رأسها يفصل عن جسدها دون تردد بسكين كبيرة النصل .
وكان العمال يشتغلون ثماني ساعات في اليوم .
ويتلاقى العشاق خلسة في عتمة دور السينما ، وهناك تتعانق الايدي بحرارة .

ويدأب الاطباء على اسداء نصائحهم بوقار :

امضغوا الطعام جيدا . . . ناموا في وقت مبكر . . .
ابتعدوا عن السجائر والخمور .

ويهز الكهول رؤوسهم بحسرة وأسف وهم يغمغمون : عم الفساد . . . المرأة تلبس البنطال . . . الابن لا يحترم اياه . . . هذه هي العلامات المنذرة بانتهاء حياة العالم .

وكان الاصدقاء يقولون لبعضهم عندما يتقابلون في بداية النهار : صباح الخير .

وكان لتلك المدينة ، رغم صغرها ، شمس تشرق في وقت معين ، ثم تأفل كذلك في وقت معين . وكان لها ايضا ليل مرصع بنجوم كثيرة العدد ، تبهت حالما يبرز القمر الابيض .

وكان ثمة رجل له اسم ما يحيا في هذه المدينة ، وجهه جمجمة التصق بعظمها جلد شاحب جاف . وكان يشتهي بضراوة ان يكون زهرة أو عصفورا أو غمامة تحب السفر ، ولم تستطع الكتابة ان تهزمه رغم علمه انه لن

يكون لا زهرة ولا عصفورا ولا غمامة تحب السفر •
ولكنه سئم من العيش وحده في منزل صامت موحش ،
فصمم في لحظة من اللحظات الرمادية على شراء امرأة ،
امرأة قد تؤنسه وتبدد بصوتها الصدا المتشبهت بأيامه •
وقصد الرجل سوق الجواني ، واختار امرأة لها عينان
كبيرتان ينتحب في غوريهما اسي ممتزج بسحر شديد
الغموض • ودفع الرجل ثمنها وهو يقول لنفسه : ربما
استطاعت ان تقتل القنفذ الباكي في دمي •

ولم يقل الرجل اي كلمة للمرأة اثناء سيرهما في
الطريق ، ولكنه عندما وصلا الى المنزل سألها :
- ما اسمك ؟

فأجابت المرأة بصوت خفيض ناعم مرتعش بعض
الشيء :
- اسمي ندى •

وكان الرجل جالسا آئذ بالقرب من المرأة ،
واضعا على ركبتيه يديه الخشنتين اللتين كانتا مرتجفتين ،
تهدر في عروقهما دماء وحشية • وتمنى لو كانت المرأة
في تلك اللحظة عارية على شاطئ رملي ، تواجه بحرا
ازرق يبلى نهديها بمياهه الساخنة المألحة • وقال
بلهجة مضطربة :

- من اي بلد انت ؟

- ليس لي بلد •

فتأملها مليا ، ثم قال : انت جميلة •

وكان فمها حيوانا غامضا صغيرا ، قرمزي اللون ،
بدا لعيني الرجل انه فم وحيد بطريقة ما • وتقلصت

أصابه ، وسرت فيها رعدة قاسية وهو يقول بتؤدة :
اسمك جميل ايضاً .

فقال المرأة وهي تبتمس بغموض : اسمي
الحقيقي شهرزاد .

فهتف الرجل وقد استولت عليه الدهشة : أنت
شهرزاد ؟

فقال المرأة : انا شهرزاد . . لم يحصدني الموت
. . شهر يار مات .

قال الرجل : لم يمت شهر يار . . انه مازال حياً .

قالت المرأة : آه يا مولاي .

- انهارت مملكتي يا شهرزاد .

- افترقنا عن بعضنا .

- تهنأ عبر الارض الكبيرة .

- بحثت عنك في كل الامكنة .

- ارغممني الجوع على البكاء .

- سجننت في غرفة موصة الباب .

- صرت متسولاً .

- مشيت في الطرقات وانا متلفعة بملاءة سوداء .

- حفرت الارض بأظفاري .

- عشت امرأة وحيدة في مدن يسكنها الرجال فقط .

- بصق في وجهي .

- اشتراني رجال يملكون ذهباً .

- انا رجل مسكين . لماذا تركتني يا الهي ؟

- اواه كم تعذبنا .

- آه كم تعذبنا .

وتعانقا بعنف ، وانتحبا طويلا • وهمس الرجل
بصوت متهدج : احبك •• احبك •

فتطلعت اليه بعينيها المبللتين بالدمع ، وكانت
تصرخ في اعماقهما شهوة مدت الى لحمه مخالبا لم يستطع
الافلات منها ، فاحتضن جسد الانثى بلهفة ، وما ان
التصق فمه بفمها حتى تناهى الى مسمعه صراخ آت من
الشارع : هجم الاعداء •• اقتلوا •• اقتلوا •• الى
الحرب •

وتصاعد قرع طبل ذي ايقاع مهيب غاضب لم يقدر
الرجل ان يتجاهله ، فأبعد عنه جسد الانثى بحركة
صارمة ، فصاحت المرأة متوسلة : لا تتركني ••
لا تحارب •• ابق بجانبني •
قال الرجل : اسكتي •• أزقة المدينة •• امي
تناديني •

وتناول سيفه المعلق على الحائط ، وانحدر الى
الطرقات حيث كان الرجال يتقاتلون في عتمة المساء •
واندفع الرجل الى قلب المعركة ، وشرع يسدد سيفه نحو
أي صدر يجده امامه • وكان يبتهج كلما انزلق النصل
الطويل الصلب مخترقا اللحم اللين بحركة شرسة
ضارية •

وحيثما انتهت المعركة ، وقف الرجل وقد بلل
جسده العرق والدم • وانتابه هلع شديد اذ تبين له انه
الرجل الوحيد الباقي على قيد الحياة ، واما الرجال
الآخرون فقد تناثرت جثثهم على اسفلت الشارع اكواما
من اللحم الممزق ، فارتمى على الارض الدامية ، وطفق

ينتحب بمرارة بينما كانت النيران تلتهم منازل المدينة وقتلاها .

وكف الرجل عن البكاء لحظة اقتربت منه النيران ، وسارع الى الهرب خارج المدينة حيث الحقول الشاسعة وهناك ابصر المدينة وقد استحالت الى كتلة ضخمة من نار حمراء متوقدة في قلب الليل الاسود .
فتهالك على الارض المعشوشبة مستسلما لنوم عميق .
ولم يستفق الا عندما اشرقت شمس نهار جديد .

كان السكون مهيمنا في كل الارحاء ، وكانت المدينة كومة كبيرة سوداء يتصاعد منها الدخان .
وسمع الرجل صوت بكاء خافت ، فأجال نظره فيما حوله مستطلعا الى ان وقعت على فتاة في مقتبل العمر مرتمية على العشب ، فدنا منها وسألها : لماذا تبكين ؟
- احترقت المدينة . مات الجميع .
- اذن لم يبق احد .

ولم تجب الفتاة وانما استأنفت نحيبها . فسألها ثانية : لماذا تبكين ؟

فقالت وهي تخفي وجهها في راحتيها : أنا جائعة .
فتركها الرجل ، ومضى يبحث عن طعام ما .
واغتبط اذ عثر على شجرة تفاح ذات اغصان مثقلة بشمار ناضجة . فاقتطف بعضها ، وحمله الى الفتاة ، واخذ يراقبها بحنو وهي تأكل التفاح بنهم .

وعاوده الحنين لأن يكون زهرة او عصفورا او غمامة تحب السفر .

وقال لنفسه متسائلا : هل اسم الفتاة شهرزاد ؟
ومسحت الفتاة وجهها بطرف ثوبها ، ورمقت
الرجل بامتنان عميق .

كان وجهها وديعا . وتذكر الرجل أيام طفولته
الآفلة ، وقال بحزن : اذن لم يبق سواانا من الاحياء .
وظلت الفتاة صامتا غير ان شفيتها انفرجتا قليلا
كأنها توشك ان تشهق منتشية دون صوت . وشاهد
الرجل وردة حمراء ، فاقتطفها وقدمها بارتباك الى الفتاة
التي تقبلتها ببسمة خجولة ، ايقظت الفرح وجعلته يردد
في سرايين الرجل اجمل اغانيه .

وعاون الرجل الفتاة على النهوض ، ثم سارا
بخطى متمهلة نحو المدينة الميته السوداء .

وسمعا بغتة عصفورا يغرد ، فتوقفا عن السير ،
وتلاقت عيناهما في نظرة طويلة ، وخيل الى الرجل انه
يسمع ضجيج أطفال ممتزجا بعويل ناء .

وتابع الرجل والفتاة مسيرهما وقد تعانقت يداهما
بود وألفة .

وامامهما كانت الشمس فتية وضاعة .

1000

القرصان

[Faint, illegible handwriting]

١ - كنت قرصانا

كان القرصان رجلا مديد القامة ، وجهه قاس
وشرس • تشب الى عينيه حين يبتسم نظرة صارمة
شبيهة بنصل سيف سطع بغتة تحت ضوء الشمس •
ولم يمت عندما حطمت العاصفة سفينته ، فقد حملته
الأمواج الى احد الشواطئ •

واشرقت الشمس ، والقت فوقه شعرها الاصفر
الحار غير انه ظل مستلقيا دون حركة بينما كان الرمل
الدافئ المبلل المالح يحتضن وجهه • وادرك انه سيظل
حتى الموت وحيدا كغراب هرم ، بلا سفينة وبلا رجال
وبلا حبيبة •

ولقد كان القرصان يعشق امرأة اسمها رندا ،
بيضاء اللحم ، تضحك بعدوبة ، وشعرها الاسود يجعله
يرتعش وينتظر سماع صرخة المحارب العاري الذي
لا يملك مقعدا في مقهى ويملك رمحا وجسدا مظلما •
ولقد ماتت رندا في الليل ، ولقد انحنى القرصان ، وقبل
باشتهاء فمها البارد ، وعندئذ سمع اصوات الريح
الغاضبة ، وهو متأكد من ان رندا الآن في قعر البحر او

ربما كانت جثة طافية على وجه المياه • لكنها كانت
طيبة القلب فلم تتخل عنه ، ورافقته الى الشاطئ بشكل
غامض •

وفيما مضى من الايام ، جاب القرصان البحار •
نهب السفن • قهقهة امام الحرائق • اغتصب نساء •
سيفه تلمح بالدم • وطأ الذهب بازدياء وجشع • شاهد
المدن الغريبة • ضحك دون فرح • سكر طوال ليال •
وكان الها صغيرا يقف في بعض الليالي وحيدا على سطح
سفينته ، يصغي الى صخب رجاله الثملين ، ويحملق في
السماء الملى بالنجوم ، باحثا عن نجم ما • • لم يبرز •
رندا قربه ، يدها على شعره • قالت : لا تبك •

فنهض القرصان ، وابتعد عن الشاطئ والبحر ،
واندفع نحو شوارع المدينة ، وكانت وقتئذ غاصنة
بالناس • ولم يبتسم له احد ، ولم ترمقه أي امرأة •
وكان النهار عصفورا ابيض • ورندا صامتة ذات وجه
اسيان ، قال لها : هل تشتغل الآلهة ثماني ساعات ؟
رندا صامتة تحديق بوجوم الى مرآة كبيرة بينما
الهواء يداعب خصلات شعرها الاسود • واحس القرصان
بان ثمة انسانا مريضا ، يختبئ خلف جلده ، ويئن
بصور مفاجئة •

قالت رندا فجأة : رحل القطار •

وكانت موسيقى الحزن تنشد بضراوة ، محاولة
ان تكون طوفان رماد ، يجتاح العالم ، ويظفيء كل
الانوار • • آه يا افراح الارض المتوارية •

وابتدأت مديرة الليل تنغرس في قلب النهار ،
وتساقطت العتمة كثلج اسود ، واضيئت المصابيح
الصفراء في الشوارع •

ولمس القرصان تجاعيد وجهه وشعره الذي تسلل
اليه الشيب ، وقال لرندا : سيرحل قطار آخر •

وكانت النجوم تتألق ببرود في الاعالي ، وكان ثمة
فندق في الميناء ، فاحصى القرصان نفوده ، ثم قصد
الفندق فقد كان بحاجة الى نوم طويل ، واعطي سريرا
في غرفة ضيقة ، جدرانها مدهونة بلون اصفر باهت •

نام القرصان • رندا تضحك بعذوبة • • لحمك
يا حبيبي نهر خمر ابيض • • وفي فمك صيف نائم • •
عيناي • • وجهي • • اصابعي • • بحارة قواربهم
محطمة ، ويحلمون بالتشرد عبر السهول المعتمة • • لكم
اشتهي رؤية شعرك الاسود المديد مبعثرا • • طفل
يضحك في دمي • • وها هم رجالي يصعدون من اعماق
البحر حاملين جثة الموت المقهور • • وها هي سفينتي
تمخر عباب البحر • • وحببتي رندا تضحك • •
والسحب تنأى عن السماء • • يا وجه السماء الازرق • •
يا رفيقي المرح • • اقبل اقبل •

وافاق القرصان في الصباح ، وجلس في ردهة
الفندق ، وكان ثمة اناس حوله ، كلهم اغراب ، أتوا
من مدن وقرى نائية • وتساءل : لماذا اتوا الى هنا ؟
سيموت الرجل الهرم • ستتزوج الصبية ، ستنجب
اطفالا ، ستتشاجر احيانا مع زوجها • سيكبر الطفل ،
وسيتعرف على الكلمات والله والمدن ، وستعانقه الافراح

والاحزان ، وسيبحث عن الفرح وحده ولن يجده • المرأة
التي ولي شبابها ، ستنزوي في الاماسي ، وتحكي
ذكرياتها ، ولن يقول لها احد : يا حبيبتي ، وسترتجف
في ليالي الشتاء ، ولن يؤنسها سوى قط جائع • الشاب
المهتم بشبابه وشعره وحذائه •• ها هو كصرخة جامحة
ولكنه سيضمحل رويدا رويدا •

الفندق •• انه مكان ضيق جدا •• مغروس في
قلب العالم الكبير •• تتلاقى فيه دوامة وجوه غريبة ••
تأتي لتنام ثم تحتسي القهوة صباحا وترحل •
قالت رندا : السماء فارغة •

وتطلع القرصان عبر النافذة الى السماء ، ولم يعثر
على عصفور او غيمة • شرب فنجان قهوة • دخن سيجارة
على مهل • تجرع كوب ماء بارد • ثم ترك الفندق ،
ومشى بطيئا وعيناه مغمضتان نصف اغماضة •• رندا
امرأة جميلة تحب الموسيقى • موسيقى الارض نائية •
صوت رندا وحيد بلا كلمات • صوتها موسيقى تنساب
الى الشرايين ، وتحول الدم الى عطر اسود •

وابصر القرصان فتاة صغيرة ، عمرها لا يتجاوز
تسعة اعوام ، وكانت تقف قرب باب احد المنازل ، ملصقة
ظهرها بجدار أبيض ، وترتدي ثوبا ازرق قصيرا ،
يكشف عن ركبتين بلون غيوم الصيف ، وقد رمقهما
القرصان بفضول خبيث ، فأمسكت الفتاة الصغيرة
بطرف ثوبها ، ورفعته قليلا عن فخذيها بينما كانت
تطل من عينيها نظرة عاهرة عجوز •• بعثت في أوصال
القرصان هلعا متوحشا •• اخجلي يا صغيرة • احبي

العشب والورد والاشجار والغيوم والحمامات البيضاء .
اهتفي فرحة بالمطر لحظة ينهمر . اضحكي . العالم كله
ملكك . قفي في الشوارع الصاخبة واغمضي عينيك
وانصتي الى الغناء الصادر من حنجرة المدينة . . . اصوات
الرجال والنساء والاطفال والسيارات والدراجات . مات
الخوف . حكايات جدتك . . . كلمات ليلة مملة . كوني
نجمة او قطرة ماء او كوني دمية ساذجة الملامح يرمقها
الاطفال بجذل ، وتجبرهم على اطلاق صيحات الدهشة
والتعجب حين تغمز بعينيها . وفي ليالي الصيف تمدي
على سطح عال ، وستنحدر النجوم ، وتلمس شفاهها
وجحك ثم تنام نجمتان في عينيك . . . ما أجمل العيون
التي تنام النجوم في اغوارها .

وحت القرصان خطاه فقد كان جائعا للغاية وبلا
نقود . الخبز ابيض وراء الزجاج ، وعناقيد العنب
حمراء مكدسة في صناديق خشبية ، والتفاح أصفر
واحمر في السلال ، وثمة تين اخضر .

وبلع القرصان لعابه بصعوبة ، ولم يستطع ان
يمد يده ، وينال ما يشتهي من طعام فهو لا يملك نقودا
ولا سيفا ، وكان رجال البوليس منبثين في الطرقات
والاسواق ، يراقبون بأعين يقظى صارمة بينما تتدلى
المسدسات الضخمة من احزمة جلدية ملتفة حول
خصورهم .

وقف القرصان طويلا امام مرآة قابعة في واجهة
احدى المحلات ، وشاهد في المرآة رجلا أصفر الوجه ،
ينتحب في عينيه فقراء الارض كلهم . وخيل الى القرصان

انه يرى هذا الرجل لأول مرة ثم توهم خلال لحظات
انه ابصره من قبل ، وكان مسمرا على خشب صلد ،
وكانت المسامير الغليظة مزروعة في يديه وقدميه .

واستأنف القرصان مسيره برأس منكس بذل ،
وفوجيء بعد حين برجل انيق الثياب ، يصدمه صدمة
قاسية ، ثم يبادره قائلا بفضافة : هيه . هل انت
أعمى ؟

ولم يجب القرصان فقد كانت سفينته وبحارته
ورندا في تلك اللحظة في جوف البحر ، ورفع الرجل
الانيق يده وصفع القرصان صفعة قوية ثم تابع سيره
وهو يزمر غاضبا . وانبثق الدم في الحال من أنف
القرصان بغزارة .

هتف بلهفة : رندا .

وكانت رندا آتت امرأة شاحبة ، تنصت الى

موسيقى بعيدة .

وهتف القرصان مرة ثانية بدعر : رندا رندا .

وكانت رندا مرتمية على طاولة بيضاء في غرفة
بيضاء . وامتلك القرصان رغبة ضارية في التدخين ،
ولم يجد في جيوبه أي سيجارة فانحنى وتناول بأصابع
ترتجف خجلا نصف سيجارة ملقاة على الارض، وتلقفتها
شفتاه بكثير من الحنين . وعب الدخان بنهم شديد
ثم تنهد بارتياح ولكنه بعد قليل شعر بضعف مبالغت ،
وفقد توازنه ولم تستطع قدماه حمل جسمه فانهار على
الارض ، وتجمع الناس حوله بسرعة متسائلين : هل
هو سكران ؟ هل هو ميت ؟

وانطلقت السيارة البيضاء بسرعة تخترق الشوارع ،
وبوقها يرسل صراخا حادا ، تناهى الى مسمع القرصان
الغارق في الغيبوبة وكأنه صفير قطار موشكا على
الرحيل .

٢ - المهرج

اصمتي ايتها المرأة السوداء ، فاغنيتك المجروحة
هشمت وردة من زجاج مضيء كانت تحيا في قلب الامير .
وتهامس الجند والخدم والجواري والندماء : مولانا
الامير حزين .

وكان المهرج جالسا على مقعد خشبي في حديقة
القصر يرقب الرماد المنهمر من فم السماء . وعندما
مثل بين يدي الامير ، جثا على ركبتيه ، واحنى رأسه ،
وانتظر صامتا .

وتكلم الامير : اضحكني او اقطع رأسك .
وكان المهرج في تلك اللحظة كئيبا ، وكلماته كلها
امتلكها امس ناء . فقال : كان يعيش في الايام القديمة
قرصان له سفينة ورجال وحبيبة .

فتجهم وجه الامير ، وتابع المهرج قائلا : آه يا
مولاي . . لقد اندثر الماضي ، واصبح القرصان مهرجا .
قال الامير : سئمتك . سيقطع رأسك .
وتهامس الجند والخدم والجواري والندماء :
سيقطع رأس المهرج .

وتخيل المهرج سفينته ذات الاشرعة البيضاء

تمخر البحار ، ورجاله يلوحون بسيوفهم ويقهقهون ،
وحبيبتة رندا تمشط شعرها الاسود تحت الشمس ،
ثم تخيل سيفا يهوي على عنقه ، ويطيح برأسه الذي
سيتمدحرج على البلاط اللامع . وحينئذ انتحب المهرج
كامرأة هرمة ، وبللت دموعه وجهه المتجدد . واستولت
الدهشة على الامير ثم اخذ يضحك وقال : احسنت . .
يا لك من ممثل قدير .

وتهامس الجنود والخدم والجواري والندماء : لن
يقطع رأس المهرج .

وعاد المهرج الى حديقة القصر ، وهنالك وجد اخت
الامير ، ترنو الى نجوم السماء ، وكانت فتاة جميلة ،
ذات شعر اسود متناثر باهمال على كتفيها . قالت
متسائلة : أضحك اخي ؟

قال المهرج : لقد ضحك مولاي الامير .

قالت الاميرة : الدموع في العينين اجمل من الوجه
الضاحك .

قال المهرج : المفجع ان يبكي القلب بعينين جافتين .
قالت الاميرة : أنا لم أغادر القصر ، لم أعرف
العالم بعد .

فاجتاحت المهرج موجة عارمة من المشاعر الدافئة ،
واستعاد فتوته الهاربة دفعة واحدة ، واجاب بحرارة :
الناس خارج القصر يجوعون ، واحيانا ينتزعون قلوبهم
من صدورهم ويبيعونها ويشترون بثمنها خبزا .

قالت الاميرة بدهشة : اوه اوه .

قال المهرج : ويبكون بمرارة عندما لاينهمر المطر .

قالت الاميرة : الا يعرفون الفرحة .
قال المهرج : يولد الفرحة فقط عندما يتلاقى
جسدان متالفان ، او عندما يجتمع بضعة اصدقاء
ويتحدثون عن التعاسة والموت والعمل اليومي ، او
عندما ينام البشر ويحلمون .
قالت الاميرة مبتهجة : لنهرب ونجوب العالم .
قال المهرج : العالم كبير جدا وسنموت قبل ان
نعرفه كله .

قالت الاميرة باصرار : لنهرب .
وخيل الى المهرج انه يسمع ضجيج المدن المكتظة
بالبشر ، فقال : سأهرب وحدي .

قالت الاميرة بحزن : سيقتلك حراس القصر .
وتمكن المهرج من الافلات من القصر دون ان يلمحه
اي حارس . وثلث برؤية النجوم والليل الصامت وانوار
المدن . واحس وهو يعدو بانه قد استرجع سفينته
ورجاله وحبيبته رندا . . غير ان وهمه لم يعش سوى
لحظات ثم توارى ، وانطفأت غبطته . وادرك مرة ثانية
انه سيظل حتى الموت وحيدا كغراب هرم . وتوقف عن
السير مكتئبا ، والصق ظهره بجذع شجرة . وتذكر يدا
صغيرا حسرت ثوبا ازرق عن فخذين ابيضين ، وانتابه
خوف مفاجيء ، وابقن بانه قد يتحول بعد قليل الى سرب
جراد جائع . . سيمحو اخضرار العالم .

٣ - سقوط الرجل الشرير

ما الذي سيحدث بعد دقائق ؟ نحن نحيا في عالم
غامض . . قد نضحك ونبكي ونموت في لحظة واحدة .

القمر رابض فوقنا ، لا يهرب • وجهه شاحب
قليلا •• ينتظر رؤية الدم الذي سيهرق •• ما الذي
سيحدث ؟ بلدتنا صغيرة وديعة ، يعيش أهلها بلا
اسئلة ، ولقد انقض عليها رجل شرير مجهول • وها هو
موثق بحبال غليظة •

خمسة رجال قبضوا عليه بعد ان طاردوه طويلا •
نحن ننتظر •• ضوء القمر يرتعش وينتظر •• وارض
الشارع تنتظر ايضا •• ما الذي سيحدث ؟
خمسة رجال •• الحقد زرع ازهاره في قلوبهم ،
ويتألق في اعينهم فولاذ السيوف القديمة ، نحن نسمع
اصوات غضبهم :

- احرق منزلي •• لم يقتل زوجتي •• تركها
خلفه لتعذبني رؤية جسدها المدنس •
- فقير انا فقير •• املك فقط كلبا وديعا ••
لا ينبح ولا يعض احدا ويحب كل الناس •• لماذا حطم
رأسه بحجر ؟

- ابي رجل هرم يحب اشجار الزيتون •• ومن
غصن شجرة الزيتون تدلى مشنوقا •• ابي أحب أشجار
الزيتون •

- طفلي صغير لم يتكلم بعد •• كان جميلا ••
ولكم كان قبيحا وبشعا لحظة رأيتته مذبوح العنق •
- احرق كتبتي وها أنذا بلا كتب •• كجثة طافية
على وجه نهر بطيء الجريان •

• ما الذي سيحدث ؟ يا الهي يا الهي •

خمسة رجال .. بتر احدهم الحبل المشدود حول
الرجل الشرير .. ما الذي سيحدث ؟

وقف الرجل الشرير دون سلاح وسط خمسة
رجال ، اصابعهم تقبض بعنف على مقابض خناجر طويلة
النصل . ارحل يا ضوء القمر .. لا نريد ان نبصر ..
ولكن اعيننا تحملق .. وارجلنا تأبى الهرب .. شرير
انت يا قمر .. شرير ..

قال احد الرجال : لا تطعنوا قلبه .

وهجمت الخناجر وطعنت الرجل الشرير في آن
واحد ، ثم تراجعت بشكل خاطف منسحبة من اللحم .
وتأوه الرجل الشرير متألماً وتدفق الدم من خمسة
ثقوب .

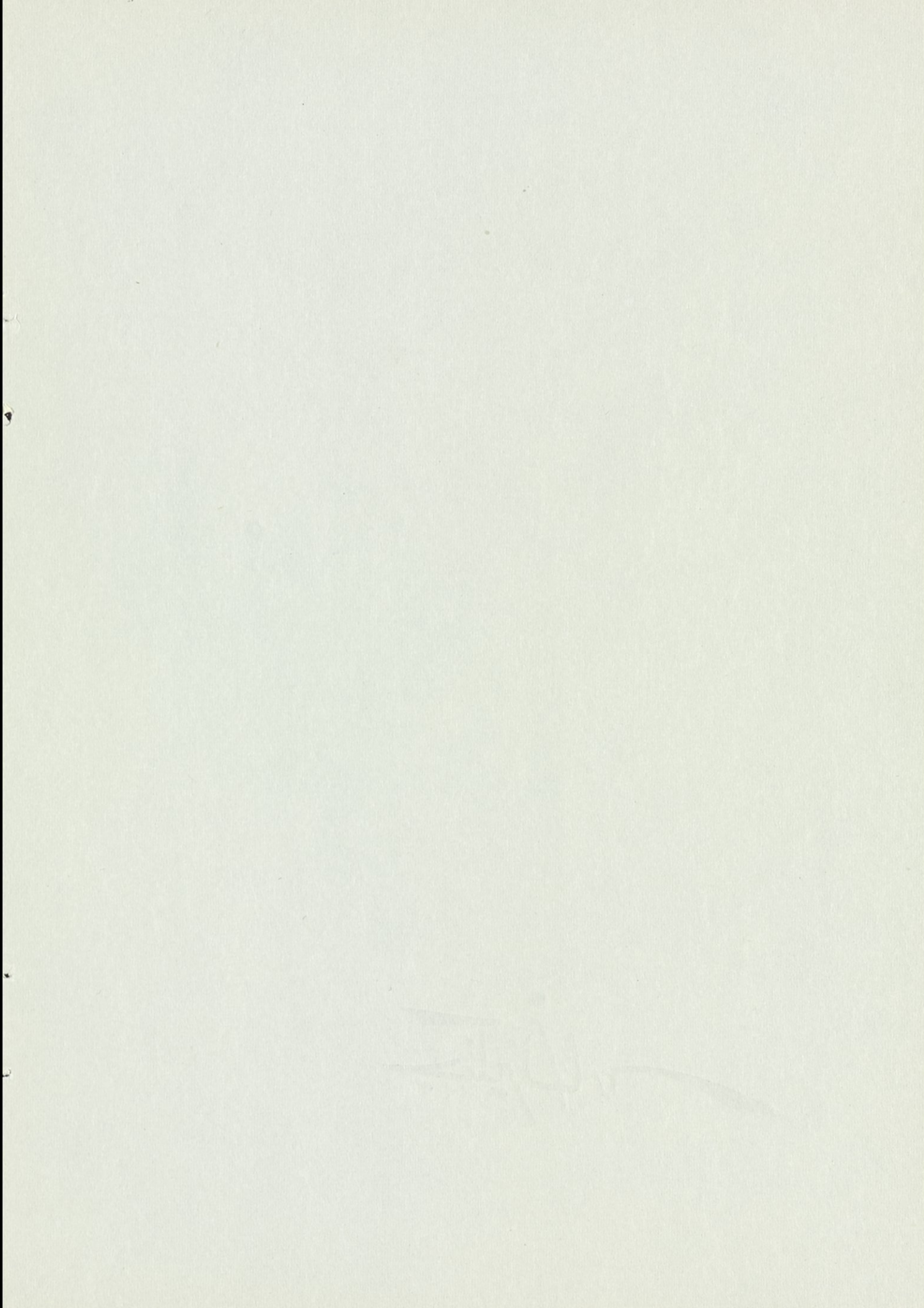
الخناجر تمزق الهواء واللحم . يترنح الرجل
الشرير ولا يسقط .. اخجلي يا ذئابا في اعماقنا ..
لا تعوي فرحة بالدم .. سيقبل الموت .

٤ - ختام كل الحكايا

مصباح الشارع أصفر ، والقمر فوق الشارع ،
وجسد الشرير ممزق ملقى وحيدا على الاسفلت بعد ان
تفوق المتفرجون ، ولم يبق أحد . وكانت رندا امرأة
شديدة الحنو ، اقبلت بلهفة وحزن ، وانحنت والصقت
شفتيها بفم الرجل المدمى ، ولم يشعر بلظى لحمها ..
وحاول ان يفتح عينيه غير ان الثلج تساقط فوقه ،
وسرى الصقيع في أوصاله . واستطاع بصعوبة ان يتأبط

ذراع رندا ، وانطلقا معا وتلاشيا في فراغ أبيض صامت .
ولم تقرع في تلك اللحظة اي اجراس حزينة ، واطمحل
القرصان والمهرج والقاتل ، ولم يبق سوى جثة باردة ،
اقترب منها احد الكلاب ، ودار حولها عدة مرات ثم ابتداء
يلعق الدم الاحمر .

جنتی زہار



عندما ولد جنكيز خان ، لم يكن ينتظر رأسه تاج
من ذهب ، فقد كان والده فقيرا ، لا يحترمه احد .
وكانت امه امرأة كهلة ، حزينه العينين ، لم تضحك مرة
واحدة من القلب .

وقضى جنكيز خان طفولته في الازقة ، يلعب بالطين
والحجارة . لكنه عندما أصبح شابا ، توج ملكا لأن
الجوع عذبه طويلا ، ولم يهزم حبه للشعر الشبيه
بضحكة طفل . وكان دائم الابتسام على الرغم من ان رغبة في
البكاء تدهمه أحيانا دون سبب . ولقد احب جنكيز
خان الصبية الوديعه التي اختيرت لكي تكون اما لاطفال
لم يأتوا بعد . وعندما تلاقى جسدهما لأول مرة في ليلة
من الليالي ، تشبثت الصبية به ، وشدته اليها بضراوة ،
واحس جنكيز خان ان جسدها حيوان له آلاف الافواه
والانياب والمخالب .

وغادر جنكيز خان مخدعه في الصباح ، متجهم
الوجه بينما الصبية مرتمية على السرير ، وقد اغمد في
صدرها خنجر ذو نصل طويل .
وظل جنكيز خان صامتا مكتئبا طوال ايام كثيرة ،
يتجول في ارجاء قصره كشبح قائم بلا رأس . وكان

وزراؤه واعوانه يرقبونه بقلق وحيرة ، فقد اعتادوا
الخضوع لمشيئة من اختاروه حاكما عليهم .

ووقف جنكيز خان ذات يوم بين وزرائه واعوانه .
وكان كشجرة مقتلعة من ترابها ، ومثبتة في الفراغ بشكل
سحري . وتكلم مصدرا اوامره الى قواد جيوشه بالمسير
والانطلاق عبر العالم وهدم المدائن المنتشرة على وجه
الارض .

وكان ثمة مدينة صغيرة بلا أسوار ، أهلها يؤمنون
ان الله موجود في كل مكان ، ومقتنعون ان الله خلق من
الملائكة عددا لا يحصى ، والملائكة من نور ، ولهم أجنحة
بيضاء ، ولا تراهم أعين البشر . ويخضع كل شخص
حي لمراقبة اثنين من الملائكة ، يسجلان حسناته ومساوئه .
وعندما يموت الشخص ، توضع المساويء والحسنات
في كفتي ميزان ، والكفة الراجحة تقود الشخص الى
جهنم او الى الجنة . وجهنم نار محرقة تعذب دون
موت ، والجنة مكان جميل مكتظ بالاشجار الخضراء
والنساء الجميلات وانهر العسل والخمر واللبن .

وكان اهل المدينة مغرمين بالنراجيل ، وتهتز
رؤوسهم بنشوة لحظة تضرب يد ما على جلد دربكة .
وكانوا يركبون السيارات لانهم لم يكتشفوا
الخيول بعد ، وكانت الخيول ما تزال متوحشة تعدو
عبر البرازي .

ولم تجد جيوش جنكيز خان صعوبة كبرى في
اقتحام المدينة . وقتلت بضعة آلاف من السكان .

وتطلع جنكيز خان بشغف الى جثث المشنوقين وكأنها
نجوم متألقة .

وفتشت المنازل ، وجمع الاطفال ثم ذبحوا على
ضفة نهر ، مياهه فقدت لونها .

ومرت اشهر عديدة حافلة بالضجيج والمرح
والصراخ ، ثم ابتداء الهدوء يهيمن شيئاً فشيئاً ، واستعاد
أهل المدينة حبهم للنراجيل والدربكة والحديث عن
الفضائح وعن الله الموجود في كل مكان .

وبدأ الضجر يستولي على جنكيز خان ، وتغلغل
في لحمه كمرض مخيف وغامض ، وقد دفعه ذات يوم
لان ينبذ تاجه وملابسه ، ويتسلل متنكراً ، ويطوف
المدينة كثعبان يفتش عن لحم يصطدم به . وحين اتعبه
التجوال دلف الى داخل مقهى ، رواده مزيج من الشبان
والفتيات ، وطلب فنجان قهوة . وكان ثمة اغنية تصعد
من صندوق الموسيقى القابع في ركن من اركان المقهى .

واخذ جنكيز خان يحتسي القهوة ، ويدخن بينما
كان المغني رجلاً يعول بصوت خشن جريح :

سأموت اذ تركتني

وظفق جنكيز خان ينفث دخان سيجارته ،
ويتأمل بفضول فتاة جميلة ، قريبة منه . وكانت تهز
قدمها بانسجام مع ايقاع الموسيقى الحارة ، وكانت
يدها مرتميتين على سطح الطاولة الحديدية ، وكانت
صغيرتين شديدتي البياض .

وحملق جنكيز خان في يديه الكبيرتين الخشنتين ،

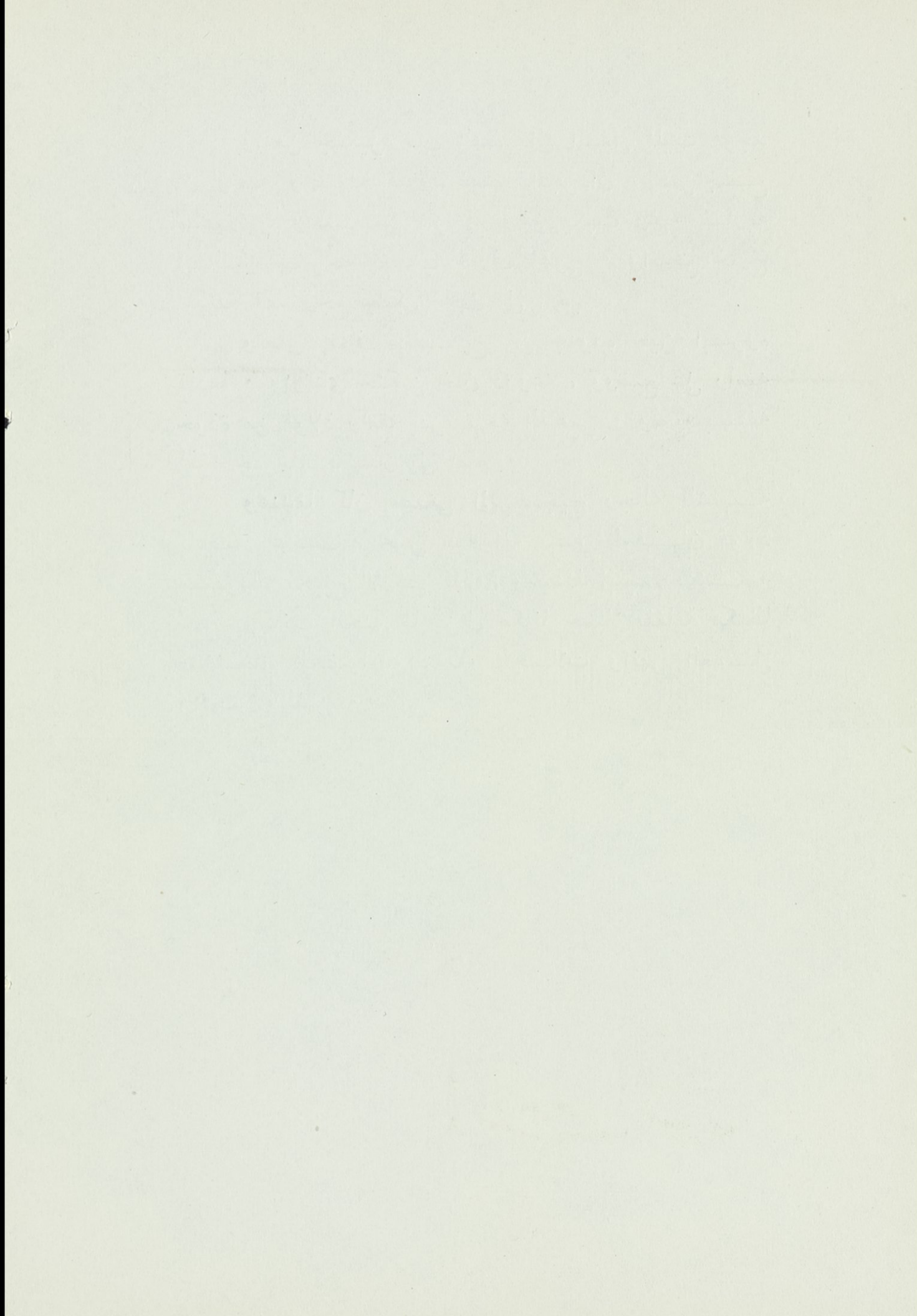
وانهمر أسي غامض في دمه ، واشتد حينه لسماع
قصائد ينشدها صوت مبجوح أجش • واحس ان قلبه
عصفور بلا جناحين ، يتوق لان يطير راحلا نحو البيت
الذي ولد فيه ، وكان بيتا جدرانها من تراب ، وتنتصب
شجرة نارنج في باحته • وتنهده جنكيز خان بارتياح ،
وشعر شيئا فشيئا بأن طرفانا من دماء الاطفال ينأى
عنه ، وتلاشت جثث المشنوقين من مخيلته •

وغادر المقهى وهو متأكد من ان جنكيز خان
السفاح مات نهائيا ، ودفن في مكان قصي مجهول ،
وستظل جيوشه تنتظره دون جدوى •

وانتظرت جيوشه ، وبحث عنه غير انه اختبأ
بمهارة فلم تعثر عليه ، واضطرت اخيرا الى الرحيل •
وراقبها جنكيز خان ببهجة بينما كان الغبار يتصاعد
خلفها ثم انطلق عبر الشوارع ، وكأنه طفل ولد قبل
لحظات ، فهو سيكون في الايام المقبلة رجلا ما مجهولا ،
يحيا في مدينة صغيرة • وسيجد عملا • وسيقرأ الشعر
في الاماسي • وسيحلم ، ويحب فتاة كطفلة كبيرة •
وستكون محبة للياسمين والصيف ، وسيكون جسدها
ضحكة عذبة ، وسيعيشان معا ، وستنجب اطفالا ،
سيحبهم لأنهم اولادها • وسيساوم البائعين بحماس
حين يريد شراء حاجيات البيت •

وكف جنكيز خان عن التخيل اذ استرعى انتباهه
حشد من الناس ، يتزاحمون حول باب احد البيوت ،
فاندس بينهم ، فاذا بامرأة تعول وتولول وهي تشير
بيدها الى طفل صغير ملقى على عتبة الباب •

وامعن جنكيز خان النظر الى الطفل الميت فوجد
ان وجهه واطرافه قد قرضتها الجرذان ، فتراجع
مدعورا ، وافلت من الزحام وهو يكبت رغبة ضارية
في البكاء ممتزجة بغضب جارف اهوج . واندفع خارج
المدينة فقد رجع جنكيز خان الى الحياة .
وتعالى هتاف الفرح من جنوده حين ابصروه
قادما . وارتدى جنكيز خان دروعه ، ووضع على رأسه
خوذة من فولاذ راقعا بهزء تاجه الذهبي . ولوح بسيفه
آمرا جيوشه بالمسير الى أمام .
وعندما كان يصغي الى ضجيج رجاله الشبيه
باعتصار غاضب ، خيل اليه انه يبصر طوفان فولاذ
مصهور ، يجتاح الارض كلها ، وحينئذ ابتسم بتشف .
وكانت الجنة ما تزال مكانا جميلا للغاية مكتظا
بالاشجار الخضراء والنساء الجميلات وانهر العسل
والخمر واللبن .



العصافير

كان في سالف الزمان طفلة اسمها ندى ، وجهها
ابيض عذب . وكانت في بعض الاحيان تتخلي عن
اساها ، وتستسلم لفرح خفي يجعلها تضحك مبهجة
فتنحدر النجوم من اعلى ، وتختبيء في شعرها الاسود
المديد .

ولقد قعدت في يوم من الايام على الارض ،
واسندت ظهرها الى حائط من الاسمنت بينما كانت
قدمها مطروحتين امامها كجثتين هامدتين ، وطفقت
تبكي وهي تغطي وجهها براحتيها فنزل من السماء
رجل يرتدي ملابس بيضاء ، ووقف قبالتها ، ورمقها
بحنان ، ثم قال لها :
- ما بك ؟

فلم تفه ندى بكلمة ، انما ازداد بكأؤها . فقال
لها الرجل بصوت رقيق :
- لماذا تبكين ؟

فكفت ندى عن النحيب ، ولكنها ظلت صامتة ،
فتطلع الرجل الى ثيابها الرثة ثم قال متسائلا :
- هل تريدين ثيابا جديدة ؟
فأبعدت ندى يديها عن وجهها المبتل بالدموع ،

وقالت بنزق :

- لا اريد ثيابا .

فتأملها الرجل مليا وقال :

- اين امك ؟

- ماتت .

- اين هي الآن ؟

- في القبر .

- وابوك ؟

- سافر ولم يرجع .

- أليس لك بيت ؟

فانتحبت ندى من جديد ، وسألها الرجل ثانية

بحنو :

- لماذا تبكين ؟

فأشارت ندى دونما كلمة الى قدميها المشلولتين ،
فجلس الرجل ذو الثياب البيضاء القرفصاء ولمس بيديه
قدميها ، فدبت فيهما الحياة في الحال ، وخفق الدم في
شرايينهما حارا عنيفا .

وساعد الرجل الطفلة على النهوض ، وقال لها
وهو يربت على شعرها :
- هيا امشي .

فأطاعته ندى ، وسارت في البداية بحذر وتوجس
وارتباك ، ثم ما لبثت ان احست انها سيدة قدميها .
وحين التفتت وهمت بشكر الرجل ذي الثياب البيضاء
فوجئت باختفائه ، فوقفت هنيهة حائرة ، تغمرها الغبطة

المتزجة بخوف ضئيل غامض ، ثم اخذت تعدو كغزالة
سجنت حيناً من الوقت .

وغنت الارض تحت قدميها ، ولم تتوقف ندى عن
الركض الا عندما تعبت ، فارتمت تحت اغصان احدى
الاشجار ، واستلقت على ظهرها فوق التراب والاعشاب
الخضراء ، ولهت سعيدة . ووجدت ندى نفسها بعد
قليل مجبرة على مراقبة عصافير تطير متنقلة من شجرة
الى اخرى ، فقطبت جبينها على حين غرة ثم اجهشت
بالبكاء .

ولقد انتحبت ندى طويلاً غير ان الرجل الذي
يرتدي ملابس بيضاء لم يحضر ، وظلت العصافير
ترفرف بأجنحتها عبر السماء الزرقاء .

المحتوى

الصفحة

٥	١ - ثلج آخر الليل
١٩	٢ - الباب القديم
٢٥	٣ - الجريمة
٣٩	٤ - شمس صغيرة
٥١	٥ - الوجه الأول
٦١	٦ - سيرحل الدخان
٦٧	٧ - النهر
٧٧	٨ - ربيع في الرماد
٨٧	٩ - القرصان
١٠١	١٠ - جنكيز خان
١٠٩	١١ - العصافير

Index

	Page
Introduction	1
Chapter I	11
Chapter II	21
Chapter III	31
Chapter IV	41
Chapter V	51
Chapter VI	61
Chapter VII	71
Chapter VIII	81
Chapter IX	91
Chapter X	101

Handwritten text at the bottom of the page, possibly a signature or date, which is mostly illegible due to fading.

الفرز الحديث العالمي
للطباعة والنشر والتوزيع

ثمن النسخة ١١٠ ق.س أو ما يعادلها

COLUMBIA UNIVERSITY



0026813386

956.9

Sy27

6

APR 13 1964

OCT 1 1964

956.9 - Sy27

6